معجزات الأئمة ودلالتها على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية (عرض ونقد)

د. إيمان صالح سالم العلواني

قسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

eselwani@uqu.edu.sa

معجزات الأئمة ودلالتها على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية (عرض ونقد)

د. إيمان صالح سالم العلواني

الملخص:

البحث بعنوان: معجزات الأئمة ودلالتها على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية (عرض ونقد).

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

من أسباب اختيار البحث:

١- لما رأيت من اهتمام الكثير من الباحثين بأدلة الإمامة التي يعرضها الاثني عشرية في كتبهم بصورة إجمالية، أردت أن أتفرد بمناقشة دليل المعجزات؛ لما له من أهمية كبيرة، ومكانة عالية عند عامة الشيعة.

٢- سلطت الضوء على دليل المعجزة باعتباره طريق من طرق إثبات الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية.

محتويات البحث: وفيه مقدمة، وتمهيد، ومباحث رئيسة، ومطالب، وخاتمة.

أما المقدمة ففيها: أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج العلمي المتبع في كتابة البحث، وخطة البحث.

أما التمهيد ففيه: الحديث عن مكانة الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية.

أما المباحث، فبيانها الآتي:

المبحث الأول: تعريف المعجزة عند الإمامية ونماذج من معجزات الأئمة. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المعجزة عند الإمامية الاثني عشرية.

المطلب الثاني: نماذج من معجزات الأئمة عند الشيعة.

المبحث الثاني: دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ونقده. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صورة دليل المعجزة وأقوال علماء الشيعة الاثني عشرية فيه.

المطلب الثاني: نقد دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية.

ثم الخاتمة: وذكرت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها، وأهمها:

١- لجأ الاثني عشرية إلى دليل المعجزات؛ لانعدام النص على إمامة بعض أئمتهم كعلي بن الحسين، أو كانت الوصية مشتركة بين عدد من الأخوة، كأبناء الإمام الكاظم، أو لمعرفة الإمام الثاني عشر.

٢- ضعف دليل المعجزات الذي استدل به الاثني عشرية على مسألة الإمامة، بمعارضته للنقل الصحيح، وللعقل الصريح.

٣- لم تقتصر الإمامية الاثني عشرية في إثبات دليل المعجزات للأئمة، بل أثبتوها كذلك لسفراء الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

The Imams’ Miracles and their Significance on Imamate at (Twelver doctrine) Athnā’ashariyyah Presentation and Criticism

Dr. Eiman Saleh Salem Alelwani

College of Da'wa 'Islamic Call' and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University

eselwani@uqu.edu.sa

Abstract

Reasons for choosing the research:

1- Since I saw the interest of many scholars in the evidence of the Imamate presented by the Twelver doctrine Athnā’ashariyyah in their books in general, I wanted to discuss the evidence of miracles, because of its great importance among the majority of Shi’ah

2- I tried to highlight the evidence of the miracle as it was one of the ways of proving the Imamate at the Imamiyyah Athnā’ashariyyah or Twelfth Imamate.

Research Contents:

It includes an introduction, preface, main chapters, discussions and a conclusion.

The introduction includes the importance of the subject,

the reason for its selection, the scientific method in the research, and the research plan.

The preamble includes the position of the imamate at the Imamiyyah Athnā'ashariyyah.

The chapters and topics as the following:

Chapter I: the definition of miracles and examples of the miracles of the imams, and it has two topics:

The first topic: Definition of miracle and its conditions - linguistic and terminological.

The second topic: Examples of the Imamiyyah Athnā' ashariyyah and Imams' Miracles.

The second Chapter: The evidence of the miracle of the Imamate at the Imamiyyah Athnā'ashariyyah and and its critics. It has two topics:

The first topic: The evidence of miracle and the says of Twelve Shi'a scholars in it.

The second topic: Criticism of the evidence of the miracle of the Imamate at the Imamiyyah Athnā'ashariyyah.

Finally, the Conclusion: Where I've mentioned some of the results I've reached, and the most important of it are:

1- The Imamiyyah Athnā'ashariyyah have resorted to the evidence of Miracles, because there is no provision of some of their Imams such as Ali Ibn Al-Husayn, or the will

is shared among a number of brothers, such as the sons of Imam Al-Kadhim, or to know the Twelfth Imam.

2- The weakness of the evidence of Miracles, which is derived from the Athnā'ashariyyah on for imamate, by opposing the correct transmission and the clear mind.

3- The Imamiyyah of Athnā'ashariyyah did not limit on the proof of miracles to the Imams, but they also proved them to the followers of twelfth Imam who is Muhammad ibn al-Hasan al-Askari.

May Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أنلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين، قائد الغر المحجلين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد.

فإنَّ الله ﷻ قد أكمل لنا ديننا أعظم إكمال، وأتمه أبلغ إتمام، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ (المائدة/٣).

وما قُبض رسول الله ﷺ إلا وظهر في الأمة من ضَعُفَ تمسكه بالكتاب والسُّنة، فتشعبت المسالك بالمسلمين، وظهرت الفرق والمذاهب، وكان منها فرقة: الشيعة الاثني عشرية، والتي أصبح ظهورها -خاصة في العالم الإسلامي- واضحاً، تقوم بها دول تتبنى عقيدتها، وتوسع انتشارها بعقائد ما أنزل الله تعالى بها من سلطان مستخدمة قوتها السياسية والمادية التي توصلت إليها في زماننا الحاضر.

وقد استدل الشيعة الاثني عشرية بأدلة كثيرة نقلية وعقلية على معتقداتهم، ومن ضمن الأدلة التي استدل بها الإمامية الاثني عشرية «دليل المعجزات» على عقيدة من أهم معتقداتهم وهي مسألة الإمامة.

مشكلة البحث:

يعد دليل المعجزات من الأدلة المعتبرة عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، وقد استدلوا به على عقيدة من أهم معتقداتهم وهي الإمامة، فيتوجب دراسة أصل هذا الدليل وصوره؛ ليعرف مدى صحة المدلول من صحة الدليل عليه.

حدود البحث:

استعراض نبذة موجزة عن تعريف المعجزة لغة واصطلاحا عند الإمامية ونماذج من المعجزات المنسوبة للأئمة، وبيان أصل دلالة المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية، ومن ثم نقد هذا الدليل من عدة وجوه.

سبب اختيار البحث:

١- انتشار الفكر الإمامي الاثني عشري -والذي بات يشكل خطرا كبيرا على الأمة الإسلامية- بصورة تستوجب على أهل الاختصاص عرض أدلة المذهب ومناقشتها مناقشة علمية موضوعية.

٢- لما رأيت من اهتمام الكثير من الباحثين مناقشتهم لأدلة الإمامة التي يعرضها الإمامية الاثني عشرية في كتبهم بصورة إجمالية أردت أن أتفرد بمناقشة دليل المعجزات؛ لما له من أهمية كبيرة، ومكانة عالية عند عامة الشيعة.

٣- سلطت الضوء على دليل المعجزة باعتباره طريق من طرق إثبات الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية.

منهجي في البحث:

١- المنهج الوصفي: سأقوم بحول الله وقوته بإلقاء الضوء على تعريف المعجزة لغة واصطلاحا من كتب الشيعة الاثني عشرية، وبيان دلالة المعجزة على الإمامة عندهم.

٢- المنهج التحليلي: وبه سأقف على دليل المعجزة وصورته ودلالته على الإمامة من خلال أقوال علماء المذهب الإمامي الاثني عشري.

٣- المنهج النقدي: وبهذا المنهج سأنقد تعريف المعجزة عند الشيعة وكذلك استدلالهم بدليل المعجزة على الإمامة من عدة وجوه.

خطة البحث:

وفيها مقدمة، وتمهيد، ومباحث رئيسة، ومطالب، وفهارس.

أما المقدمة ففيها: بيان أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وحدوده، وسبب اختياره، والمنهج العلمي المتبع في كتابة البحث، وخطة البحث.

أما التمهيد ففيه: الحديث عن مكانة الإمامة عند الإمامية الاثني عشرية.

أما المباحث والمطالب فبيانها الآتي:

المبحث الأول: المعجزة عند الإمامية ونماذج من معجزات الأئمة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المعجزة عند الإمامية الإثني عشرية.

المطلب الثاني: نماذج من معجزات الأئمة عند الشيعة.

المبحث الثاني: دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ونقده، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: صورة دليل المعجزة وأقوال علماء الشيعة الاثني عشرية فيه.

المطلب الثاني: نقد دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية .

أما الخاتمة ففيها: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

وفهارس: وهي فهرس المصادر والمراجع وفهرس موضوعات البحث.

هذا وأسأل الباري تبارك وتعالى التوفيق والسداد والهداية والرشاد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد:

اتفق الإمامية على أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين؛ ولأجل ذلك يُعَدُّ الاعتقاد بإمامة الأئمة من أركان الإيمان الصحيح، ولا يتم إلا بالاعتقاد بها عندهم.

فقد روى الكليني بسنده، عن أبي جعفر أنَّه قال: (بُني الإسلام على خمس: على الصّلاة، والزّكاة، والصّوم، والحجّ، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية، فأخذ النّاس بأربع وتركوا هذه -يعني الولاية-)[1].

ومنها ما رواه بخبر طويل عن زرارة، عن أبي جعفر أنَّه قال: (بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية... إلى أن قال: أما أنَّ لو رجلاً قام ليله، وصام نهاره، وتصدق بجميع أعماله بدلالته إليه ما كان على حق في ثوابه، ولا كان من أهل الإيمان)[2].

وبسنده عن زرارة أيضـًا، عن أبي جعفر أنَّه قال: (بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، والولاية. قال زرارة: فقلت وأي شيء أفضل؟ فقال: الولاية أفضل؛ لأنَّها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن...)[٣].

وروى أنَّ سائلاً طلب من أبي عبد الله أن يوقفه على حدود الإيمان، فأجابه: (شهادة أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وصلاة الخمس، وأداء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، وولاية ولينا، وعداوة عدونا، والدخول مع الصادقين)[٤].

ورووا عن أبي عبد الله أنَّه قال: (عُرج بالنّبيّ -صلى الله عليه وآله- السّماء مئة وعشرين مرّة، ما من مرّة إلا وقد أوصى الله ﷻ فيها إلى النّبيّ بالولاية لعليّ، والأئمّة من بعده أكثر ممّا أوصاه بالفرائض)[٥].

وعن موسى بن جعفر أنَّه قال: (ما وكّد على العباد في شيء ما وكد عليهم بالإقرار بالإمامة، وما جحد العباد شيئاً ما جحدوها)[٦].

وبموجب هذه الروايات جعلت الإمامية الإمامة كالنبوة! وكما يصطفي الله -سبحانه- من خلقه أنبياء، يختار -سبحانه- أئمّة، وينصّ عليهم، ويعلم الخلق بهم، ويقيم بهم الحجّة.

أي أنّ الإمامة -عندهم- هي النّبوّة، والإمام هو النّبيّ، والتّغيير في الاسم فقط، كما يقول بذلك المجلسي: (إنّ استنباط الفرق بين النّبيّ والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال... ولا نعرف جهة لعدم اتّصافهم بالنّبوّة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا تصل عقولنا لفرق بين النّبوّة والإمامة)[٧].

والإمامة رديفة التوحيد والنبوة كما يقول محمد حسين آل كاشفالغطا ما نصه: (الشيعة ترى أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين، وهي رديفة التوحيد والنبوة، وأنَّها منوطة بالنص من الله ورسوله، وليس للأمة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار لهم في النبوة)[٨].

وتبعه الإمامي الهمداني في كتابه «الإمام علي بن أبي طالب»[٩].

ويقول الخرازي: (إنَّ الإمامة بالمعنى الذي عند الشيعة هي كالنبوة...)[١٠].

ويقول عبد الله شبر: (إنّ مرتبة الإمامة كالنبوة...)[١١].

وتبعهم كذلك محمد رضا المظفر بعقده ارتباطاً وثيقاً بين النبوة والإمامة، وأنَّهما في مرتبة واحدة[١٢].

بل وصل الأمر عند بعض الاثني عشرية بأن جعلوا منزلة الإمامة تعلو منزلة النبوة! كما في الروايات التي أوردها الكليني[١٣]، والعياشي[١٤]، والحميري[١٥]، وهاشم البحراني[١٦]، والطهراني[١٧].

يقول في هذا الأمر الخميني: (إنَّ من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل.. وقد ورد عنهم (ع) أن لنا مع الله حالات[١٨] لا يسعها ملك مقرب، ولا نبي مرسل)[١٩].

ويقول كاظم الحائري: (إنَّ الذي يبدو من الروايات أنَّ مقام الإمامة فوق المقامات الأخرى -ماعدا مقام الربوبية- التي يمكن أن يصل إليها إنسان)[٢٠].

المبحث الأول: المعجزة عند الإمامية ونماذج من معجزات الأئمة

المطلب الأول: تعريف المعجزة عند الإمامية الإثني عشرية

أولاً: المعجزة لغة:

المعجزة لغة اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أَعجزت الخصمَ، أو: أُعجز بها الخصمُ عند التحدي، والهاء للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله ولم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له[٢١].

ثانيا: المعجزة اصطلاحاً عند الإمامية:

يعرف المرتضى المعجزة بقوله: (الفعل الناقض للعادة يتحدى به الظاهر في زمان التكليف لتصديق مدع في دعواه. وقيل: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة. قلنا: أمر؛ لأن المعجزة قد تكون بالمعتاد، وقد تكون منعا من المعتاد، وقلنا: مقرون بالتحدي؛ لئلا يتحد الطالب معجزة غير حجة لنفيه، وليتميز عن الارهاص والكرامات. قلنا: مع عدم المعارضة؛ ليتميز عن السحر والشعبدة)(٢٢).

ويعرفها لطلف الله الصافي بقوله: (وما أحسن قولهم في تعريف المعجزة انها خرق عادة يأتي بها النبي عند التحدي وطلب القوم منه الآية...)(٢٣).

ويقول عبد الجواد الإبراهيمي: (المعجزة عبارة عن الأمر الخارق للعادة، تظهر من مدعى النبوة لإرادة الله، وتكون دليلا على صدق دعواه... ومثل هذه الخوارق للعادة لا تختص بالأنبياء، بل ربما زود بها بعض أولياء الله، ولذلك لا يصطلح عليها كلها في علم الكلام بـ «المعجزة»، والمعروف أن يطلق على مثل هذه الأعمال في حالة صدورها من غير الأنبياء «الكرامة»)(٢٤).

ويحصرها جعفر السبحاني كذلك في النبوة عند تعريفه لها(٢٥).

ولكن علي الرباني الگلپايگاني يرد على كل من يحصر المعجزة في الأنبياء بقوله: (لا تختص المعجزة بدعوى النبوة، بل يعمها دعوى الإمامة وغيرها من الدعاوى الإلهية، كدعوى المسلم إن شريعة الإسلام هي الحق دون غيرها من الشرائع، ويقوم بالمباهلة، فذلك معجزة البتة، فالصحيح في تعريف المعجزة أن يقال: «هو الفعل الخارق للعادة الذي يأتي به من يدعي منصبا أو مقاما إلهيا شاهدا على صدق دعواه»)(٢٦).

ثالثا: مناقشة الإمامية في تعريف المعجزة:

١- تعريف آية النبي بأنها (معجزة) لم ترد في كتاب ولا سنة، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى هذا فقال: (وليس في الكتاب والسنة تعليق الحكم بهذا الوصف، بل ولا

ذكر خرق العادة ولا لفظ المعجز، وإنما فيه آيات وبراهين)[٢٧]، والأصل الالتزام بألفاظ الكتاب والسنة.

فدليل المعجزات -كما يسمى- يعبر عنه أهل السنة بقولهم: الآيات؛ وذلك لأنه جاء في النصوص الآية والبرهان كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ وقال كذلك: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ ونحو ذلك من الآيات التي تدل على أن ما يؤتاه الأنبياء والرسل؛ إنما هو آيات وبراهين.

والبعض من أهل العلم جعل لفظ المعجز نتيجة؛ لأن آية النبي وبرهان النبوة معجز، لكن لفظ الإعجاز فيه إجمال؛ وذلك لأنه معجز لمن فيه إجمال، وفيه إبهام، فإعجاز ما يحصل لمن هو معجز، فإذا قلنا: معجز لبني جنسه، فهذا حال معجز لبني آدم، فهذا حال معجز للجن والإنس، فهذا حال معجز لكافة الورى، فهذا حال.

ولهذا نعدل عن لفظ الإعجاز إلى لفظ الآية والبرهان، ونقول: الآية والبرهان التي يؤتاها الرسول أو النبي؛ للدلالة على صدقه تكون معجزة، تكون معجزة للجن والإنس جميعاً، فما آتاه الله ﷻ محمدا ﷺ يكون معجزاً للجن والإنس جميعاً، كما قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾، أما إعجاز بعض الإنس دون بعض، أو الإنس دون الجن فهذا هو الذي يدخل في الخوارق، ويدخل في أنواع ما يحصل على أيدي السحرة والكهنة وما أشبه ذلك.

أما الفرق ما بين الآية، البرهان الدال على صدق النبي مع ما يؤتاه أهل الخوارق، أنه هل هو معجز لعامة الجن والإنس أم لا؟ فإن كان معجزاً لعامة الجن والإنس فهو دليل الرسالة والنبوة.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن

أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)[٢٨].

قال النووي في شرح الحديث: (قوله: «وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيا أَوْحَى الله إِلَيَّ» اختلف فيه على أقوال؛ أحدها: أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء، فآمن به البشر، وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يُعط أحد مثله، فلهذا قال أنا أكثرهم تابعاً...

والثاني: معناه أن معجزات الأنبياء -عليهم السلام- انقرضت بانقراض أعصارهم، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم، ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة، مع خرق العادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات، وعجز الجن والإنس عن أن يأتوا بسورة من مثله، مجتمعين أو متفرقين، في جميع الأعصار مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدروا وهم أفصح القرون، مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة)[٢٩].

والمعنى الأخير هو الأظهر، وهو الذي اختاره ابن حجر قال بعدما أورده: (وهذا أقوى المحتملات وتكميله في الذي بعده، وقيل المعنى: أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار كناقة صالح، وعصا موسى، ومعجزة القرآن، تُشاهد بالبصيرة فيكون من اتبعه لأجلها أكثر؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً)[٣٠].

وليس المراد أن النبي ﷺ لم يؤت بآية إلا القرآن، وإنما ذكرت هنا لأنها هي الآية العظمى والأعم والأبقى، قال ابن حجر: (وليس المراد حصر معجزاته فيهن ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره)[٣١].

٢- قد اتبع الشيعة الإثني عشرية طرق النّظار -من المتكلمين- في تعريفهم للمعجزة، وذلك للتمييز بين المعجزة وغيرها، فقد ذهبوا إلى أن كل ما يخرج عن الأمر المعتاد، فإنه معجزة، وهو الخارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة، بناء على قولهم أن الدليل مستلزم للمدلول، فيلزم أن يكون كل من خرقت له العادة نبيا[٣٢]. وهم بذلك أرادوا التفرقة بين جنس المعجزات وجنس خوارق الكهان والسحرة[٣٣].

وقد رد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك بأمرين:

الأول: عد الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن والحديث ولا السلف.

الثاني: كون المعجزة خارقة للعادة ليس أمرا منضبطا فإنه إن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم فهذا باطل فإن آيات الأنبياء -عليهم السلام- بعضها نظير بعض بل النوع الواحد منه كإحياء الموتى وهو آية لغير واحد من الأنبياء، وإن قال: إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا والناقة، قيل له: لم يلزم ذلك في سائر الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن والحديث ولا السلف وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة إلى غيرهم.

إن كون الشخص يخبره الله بالغيب خبرا معصوما هذا مختص بهم وليس هذا موجودا لغيرهم فضلا عن كونه معتادا؛ فآية النبي لا بد أن تكون خارقة للعادة بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين وذلك لأنها حينئذ لا تكون مختصة بالنبي بل مشتركة وبهذا احتجوا على أنه لا بد أن تكون خارقة للعادة لكن ليس في هذا ما يدل على أن كل خارق آية فالكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهان وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم والفقه والنحو هو معتاد لنظرائهم وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم)[٣٤].

وقال أيضا -رحمه الله-: (فكونه خارقا للعادة ليس أمرا مضبوطا فإنه إن أريد به أنه لم يوجد له نظير في العالم فهذا باطل فإن آيات الأنبياء بعضها نظير بعض بل النوع الواحد منه كإحياء الموتى هو آية لغير واحد من الأنبياء وإن قيل إن بعض الأنبياء كانت آيته لا نظير لها كالقرآن والعصا والناقة لم يلزم ذلك في سائر الآيات ثم هب أنه لا نظير لها في نوعها لكن وجد خوارق العادات للأنبياء غير هذا فنفس خوارق العادات معتاد جميعه للأنبياء بل هو من لوازم نبوتهم مع كون الأنبياء كثيرين وقد روي أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وما يأتي به كل واحد من هؤلاء لا يكون معدوم النظير في العالم بل ربما

كان نظيره وإن عني بكون المعجزة هي الخارقة للعادة أنها خارقة لعادة أولئك المخاطبين بالنبوة بحيث ليس فيهم من يقدر على ذلك فهذا ليس بحجة فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر ونحو ذلك)[٣٥].

وبين -رحمه الله- أنه لا يصح حد المعجز بالخارق للعادة لوجهين:

أحدهما: أن كون الشيء معتادا وغير معتاد أمر نسبي إضافي ليس بوصف مضبوط تتميز به الآية بل يعتاد هؤلاء مالم يعتد هؤلاء مثل كونه مألوفا ومجربا ومعروفا ونحو ذلك من الصفات الإضافية.

الثاني: أن مجرد ذلك مشترك بين الأنبياء وغيرهم وإذا خص ذلك بعدم المعارضة فقد يأتي الرجل بما لا يقدر الحاضرون على معارضته ويكون معتادا لغيرهم كالكهانة والسحر وقد يأتي بما يمكن معارضته وليس بآية لشيء لكونه لم يختص بالأنبياء[٣٦].

ومع مخالفة ما اشترطه الإمامية من التحدي بالمعجزة، فإن ما ذكروه مخالف لما هو معلوم من سيرة النبي ﷺ، فإنه لم يكن يتحدى بالمعجزات ابتداء، والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه، ولم يتحداهم به ابتداء، وسائر المعجزات لم يتحد بها، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن، لكن قد علم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء، فهذا لازم لها، لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره[٣٧].

كما أن الدليل الدال على المدلول عليه ليس من شرط دلالته استدلال أحد به بل ما كان النظر الصحيح فيه موصولا إلى علم فهو دليل وإن لم يستدل به أحد، ولا ينقلب ما ليس بدليل دليلا إذا استدل به مدع لدلالته[٣٨].

وأما قولهم بأن المعجزة تتميزبعدم المعارضة فهذا باطل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإن كان عدم المعارضة لازما له فإن هذا العدم لا يعلم إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يعلم أنه معتاد مثل خوارق السحرة والكهان فإنه وإن لم يمكن أن يعارض في هذا الموضع ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها مع أنه ليس بنبي ودليل النبوة يمتنع

ثبوته بدون النبوة وإذا قالوا الدليل هو مجموع الدعوى والدليل تبين خطأهم وان القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ولا أقاموا دليلا على نبوة الأنبياء كما لم يقيموا دليلا على وجود الرب فليس في كتبهم ما يدل على الرب تعالى ولا على رسوله مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين)[٣٩].

لذا فإن أصح تعريف لآيات الأنبياء وبراهينهم هو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (آيات الأنبياء هي الخوارق التي تخرق عادة جميع الثقلين فلا تكون لغير الأنبياء...)[٤٠].

٣- إن سلمت للشيعة الإثني عشرية بلفظ المعجزة وتعريفهم لها، فمع اختصاص الأنبياء والرسل بها، إلا أنهم رفعوا مقام الإمامة لمقام النبوة، وبالتالي الإمام مؤيد بالمعجزات مثل النبي! كما أنني أجد بعض علماء الإمامية مثل الگلپايگاني -كما سبق- ينسبها صراحة لكل من يدعي منصبا أو مقاما إلهيا!

وهذا الأمر هو ما سيتم مناقشته في المبحث الثاني من هذا البحث -بإذن الله تعالى-.

المطلب الثاني: نماذج من معجزات الأئمة عند الشيعة

المطلع على كتب الشيعة يجد الكثير من المعجزات المنسوبة للأئمة، فقد تعدت معجزات الأئمة الاثني عشر المائة كما ذكر ذلك الخصيبي في «الهداية الكبرى»، وفي كتاب الطبري الشيعي الكبير[٤١] «نوادر المعجزات» ارتفع العدد إلى نحو مئتين وخمسين، وعند الطبري الشيعي الصغير[٤٢] في كتابه «دلائل الإمامة» ناف العدد على الثلاثمائة، ومع البحراني في «مدينة المعاجز» ارتفع العدد إلى أكثر من ألفين.

والواقع أن المصنف الأخير استفاد من كل الروايات الواردة في كتب الشيعة الممتدة من القرن الثاني إلى القرن الحادي عشر للهجرة ليضع موسوعة تألفت من ثمانية مجلدات، أحصت للأئمة الاثني عشر ألفين وثلاثا وستين معجزة موزعة على النحو التالي:

الإمام علي ٥٥٥ معجزة.

الإمام الحسن بن علي ٩٩ معجزة.

الإمام الحسين بن علي ١٩٣ معجزة.
الإمام علي زين العابدين ١٠٦ معجزات.
الإمام محمد الباقر ١١٦ معجزة.
الإمام جعفر الصادق ٢٦٣ معجزة.
الإمام موسى الكاظم ١٣٢ معجزة.
الإمام علي الرضا ١٦١ معجزة.
الإمام محمد الجواد التقي ٨٤ معجزة.
الإمام على الهادي النقي ٩٣ معجزة.
الإمام حسن العسكري الزكي ١٣٤ معجزة.
الإمام محمد المهدي ١٢٧ معجزة.

١- فمن المعجزات المنسوبة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أولا: الإمام علي يبعث رجلاً من قبره: فعن عيسى شلقان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان له خؤولة من بني مخزوم، وأن شاباً منهم أتاه فقال: يا خالي! إن أخي مات، وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال: فقال: تشتهي أن تراه؟ قال: بلى، قال: فأرني قبره، قال: فخرج معه ومعه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم متزراً بها، فلما انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه ثم ركضه -أي: ضربه برجله- فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ -يعني: كيف تتكلم بلسان الفرس الآن وأنت رجل من العرب- قال: بلى، ولكنا متنا على سنة فلان وفلان، يعني: أبو بكر وعمر، فانقلبت ألسنتنا)[٤٣].

ومن ذلك أيضاً أن الإمام علي رضي الله عنه يحيي رجلاً ذبحه عمه: فعن ميثم التمار أنه قال: كنت بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة في جماعة من أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كأنه البدر بين الكواكب، إذ دخل علينا من باب المسجد رجل طويل عليه قباء، وقد اعتم بعمامة صفراء، وهو متقلد بسيفين، فدخل وبرك بغير سلام، ولم ينطق بكلام، فتطاولت إليه الأعناق، ونظروا إليه بالآماق -يعني: الأعين- وقد وقف

عليه الناس من جميع الآفاق، ومولانا أمير المؤمنين لا يرفع رأسه إليهم، فلما هدأت من الناس الحواس، أفصح عن لسانه بأنه حسام جذب عن غمده: أيكم المجتبى في الشجاعة والمعمم في البراعة؟! أيكم المولود في الحرم، والعالي في الشيم، والموصوف بالكرم؟! أيكم الأصلع الرأس، والبطل الدعاس، والمضيق للأنفاس، والآخذ بالقصاص؟! أيكم غصن أبي طالب الرقيق، وبطله المهيب، والسهم المصيب، والقسم النجيب؟ أيكم خليفة محمد الذي نصره في زمانه، واعتز به سلطانه وعظم به شأنه؟ عند ذلك رفع أمير المؤمنين رأسه إليه فقال: مالك يا أبا سعد بن الفضل بن الربيع بن مدركة بن نجيبة بن الصلت بن الحارث بن وعران بن الأشعث بن أبي السمع الرومي؟! اسأل عما شئت، أنا عيبة علم النبوة. قال: بلغنا عنك أنك وصي رسول الله، وخليفته على قومه بعده، وأنك محل المشكلات، وأنا رسول إليك من ستين ألف رجل يقال لهم: العقيمة، قد حمّلوني ميتاً قد مات من مدة، وقد اختلفوا في سبب موته، وهو بباب المسجد، فإن أحييته علمنا أنك صادق نجيب الأصل، وتحققنا أنك حجة الله في أرضه، وخليفة محمد على قومه، وإن لم تقدر على ذلك رددناه على قومه، وعلمنا أنك تدعي غير الصواب، وتظهر من نفسك ما لا تقدر عليه، قال أمير المؤمنين ﵇: يا ميتم! اركب بعيره، وناد في شوارع الكوفة ومحالها: من أراد أن ينظر إلى ما أعطاه الله علياً أخا رسول الله وزوج ابنته من العلم الرباني، فليخرج إلى النجف، فخرج الناس إلى النجف، فقال الإمام ﵇: يا ميتم! هات الأعرابي وصاحبه، فخرجت ورأيته راكباً تحت القبة التي فيها الميت، فأتيت بها إلى النجف، فعند ذلك قال علي ﵇: قولوا فينا ما ترون منا، وارووا عنا ما تشاهدوه منا، ثم قال: يا أعرابي! أبرك الجمل، وأخرج صاحبك أنت وجماعة من المسلمين، قال ميتم: فأخرجت تابوتاً وفيه وطء ديباج أخضر، وفيه غلام أول ما تم عذاره على خده بذوائب كذوائب لامرأة حسناء، فقال علي بن أبي طالب: كم لميتكم؟ يعني: كم يوم. قال أحدهم: واحد وأربعون يوماً، قال: ما سبب موته؟ فقال الأعرابي: يا فتى، إن أهله يريدون أن تحييه ليخبرهم من قتله؛ لأنه بات سالماً وأصبح مذبوحاً من أذنه إلى أذنه، ويطالب بدمه خمسون رجلاً، يقصد بعضهم بعضاً فاكشف الشك والريب يا أخا محمد، فقال الإمام ﵇: قتله عمه لأنه زوجه ابنته فخلاها وتزوج بغيرها، فقتله حنقاً عليه، قال الأعرابي: لسنا نقنع بقولك، فإنا نريد

أن يشهد لنفسه عند أهله لترفع الفتنة والسيف والقتال. يقول عند ذلك قام الإمام علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي، فصلى عليه وقال: يا أهل الكوفة! ما بقرة بني إسرائيل بأجل عند الله مني قدراً، وأنا أخو رسول الله، وإنها أحيت ميتاً بعد سبعة أيام، ثم دنا أمير المؤمنين من الميت وقال: إن بقرة بني إسرائيل ضرب ببعضها الميت فعاش، وأنا أضرب هذا الميت ببعضي؛ لأن بعضي خير من البقرة كلها، ثم هزه برجله وقال له: قم بإذن الله يا مدرك بن حنظلة بن غسان بن بحير بن فهر بن فهر بن سلامة بن الطيب بن الأشعث، فها قد أحياك الله تعالى على يد علي بن أبي طالب. قال ميثم التمار: فنهض غلام أضوأ من الشمس أضعافاً، ومن القمر أوصافاً، فقال: لبيك لبيك يا حجة الله على الأنام، المتفرد بالفضل والإنعام، فعند ذلك قال: يا غلام! من قتلك؟ قال: قتلني عمي الحارث بن غسان، فقال له الإمام: انطلق إلى قومك فأخبرهم بذلك. فقال: يا مولاي! لا حاجة بي إليهم، أخاف أن يقتلوني مرة أخرى ولا يكون عندي من يحييني، قال: فالتفت الإمام عليه السلام إلى صاحبه وقال: امض إلى أهلك فأخبرهم، قال: يا مولاي! والله لا أفارقك، بل أكون معك حتى يأتي الله بأجلي من عنده، فلعن الله من اتضح له الحق، وجعل بينه وبين الحق ستراً، ولم يزل بين يدي أمير المؤمنين حتى قتل بصفين، ثم أهل الكوفة رجعوا إلى الكوفة فاختلفوا أقوالاً فيه عليه السلام(٤٤).

ثانيا: أن سيدنا علي رضي الله عنه يعلم السر وأخفى! ويتجلى هذا الأمر فيما رووه عن بصير بن مدرك عن عمار بن ياسر أنه قال: كنت بين يدي علي بن أبي طالب وإذ بزعقة قد ملأت المسامع فقال: (يا عمار ائتني بذي الفقار... يا عمار هذا يوم اكشف فيه لأهل الكوفة جميعاً الغمة ليزاد المؤمن وفاقاً، والمخالف نفاقاً. فقال عمار: فخرجت وإذا بالباب امرأة على جمل وهي تصيح: يا غياث المستغيثين، ويا غاية الطالبين، ويا كنز الراغبين، ويا ذا القوة المتين، ويا مطعم اليتيم، ويا رازق العديم، ويا محي كل عظم رميم ويا قديماً سبق قدمه كل قديم، يا عون من لا عون له، ويا طود من لا طود له، وكنز من لا كنز له، إليك توجهت، وبك إليك توسلت، بيض وجهي، وفرج عني كربي. قال: وحولها ألف فارس بسيوف مسلولة قوم لها، وقوم عليها، فنزلت عن الجمل، ونزل القوم معها، ودخلوا المسجد فوقفت المرأة بين يدي أمير المؤمنين وقالت: يا علي! إياك قصدت، فاكشف ما

بي من غمة إنك ولي ذلك، والقادر عليه... فاجتمع الناس فنهض من بينهم شيخ أشيب فقال: السلام عليك يا كنز الضعفاء، ويا ملجأ اللهفاء، يا مولاي هذه الجارية ابنتي وما قربتها ببعل قط وهى عاتق حامل وقد فضحتني في عشيرتي وأنا معروف بالشدة والنجدة والبأس والسطوة والشجاعة والبراعة والنزاهة... وقد بقيت يا علي حائرا في أمري فاكشف هذه الغمة فهذه عظيمة لا أجد أعظم منها فقال أمير المؤمنين: (ما تقولين يا جارية فيما قال أبوك؟) قالت: أما قوله أني عاتق فقد صدق فيما يقول وأما قوله أني حامل فوالله ما اعلم من نفسي خيانة قط يا أمير المؤمنين وأنت اعلم بي مني وتعلم أني ما كذبت فيما قلت ففرج غمي عني يا عالم السر وأخفى فصعد علي على المنبر وأمر بداية الكوفة، وقال (اضربي بينك وبين الناس حجابا، وانظري هذه الجارية اعاتق حامل) ففعلت ما أمرها أمير المؤمنين، وقالت نعم يا أمير المؤمنين عاتق حامل فقال: (يا أهل الكوفة أين الأئمة الذين ادعوا منزلتي أين من يدعي في نفسه أن له مقام الحق فيكشف هذه الغمة؟) إلى أن قال: هل فيكم من يقدر على قطعة من ثلج؟) فقال أبو الجارية: الثلج في بلادنا كثير فقال له: (بيننا وبين بلادكم مأتا فرسخ وخمسون فرسخا) قال نعم، فمد عليّ يده وهو على منبر الكوفة وردها وفيها قطعة من الثلج تقطر ماء وأمر الداية أن تضعها في الجارية وقال: (سترمى علقة وزنها خمسة وخمسون درهما ودانقان)، ففعلت ما أمرت به ووجدت ما قال لها عنه، وكان قد امسك المطر عن الكوفة منذ خمس سنين فقال أهل الكوفة استسق لنا يا أمير المؤمنين فأشار بيده قبل السماء فدمدم الجو وحمل مزنا، وسال الغيث وأقبلت الداية مع الجارية فوضعت العلقة فقال: (وإن كان مثقالَ حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ثم قال لأبي الجارية: (خذ ابنتك فوا الله ما زنت ولكن دخلت موضع فدخلت فيها هذه العلقة وهى بنت عشر سنين فربت في بطنها إلى وقتنا هذا) فنهض أبوها، وهو يقول: أشهد أنك تعلم ما في الأرحام، وما في الضمائر[٤٥].

٢- ومن المعجزات المنسوبة للإمام الحسن بن علي:

الحسن بن علي يحول رجلاً وامرأته كل إلى غير جنسه! فيقولون: إن رجلاً من أهل الشام أتى الحسن ومعه زوجته، فقال: يا ابن أبي تراب!... إن كنتم في دعواكم صادقين

فحولني امرأة وحول امرأتي رجلاً كالمستهزئ في كلامه، فغضب عليه السلام ونظر إليه شزراً، وحرك شفتيه، ودعا بما لم نفهمه، ثم نظر إليهما وأحد النظر، فرجع الشامي إلى نفسه وأطرق خجلاً ووضع يده على وجهه ثم ولى مسرعاً، وأقبلت امرأته وقالت: إني صرت رجلاً، وذهبا حيناً من الزمن، ثم عادا وقد ولد لهما مولود. يعني: المرأة جامعت الرجال، وأنجب الرجل. يقول: ثم عادا إليه وقد ولد لهما وتضرعا إلى الحسن تائبين ومعتذرين مما فرطا فيه، وطلبا منه انقلابهما إلى حالهما الأول، فأجابهما إلى ذلك، ورفع يديه وقال: اللهم إن كانا صادقين في توبتهما فتب عليهما وحولهما إلى ما كانا عليه فرجعا إلى ذلك، لا شك فيه ولا شبهة(٤٦).

٣- ومن المعجزات المنسوبة للحسين بن علي:

نزول الملائكة من السماء بأمره؛ ليقاتلوا معه! فعن زرارة بن حلح يقول: لقينا الحسين بن علي -عليهما السلام- قبل أن يخرج إلى العراق بثلاث، فأخبرناه بضعف الناس بالكوفة وأن قلوبهم معه وسيفوفهم عليه، فأومى بيده نحو السماء، ففتحت أبواب السماء ونزل الملائكة عدد لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقال: لولا تقارب الاشياء وهبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء، ولكن أعلم علما أن من هناك مصرعي وهناك مصارع أصحابي لاينجو منهم إلا ولدي علي(٤٧).

٤- ومن المعجزات المنسوبة للإمام علي بن الحسين:

أولا: علي بن الحسين يرد الشمس من مشرقها إلى مغربها والعكس!! فعن سالم بن قبيصة قال: شهدت علي بن الحسين وهو يقول: أنا أول من خلق الأرض، وأنا آخر من يملكها، فقلت له: يا ابن رسول الله! وما آية ذلك؟ قال: آية ذلك أن أرد الشمس من مغربها إلى مشرقها، ومن مشرقها إلى مغربها، فقيل له: افعل ذلك، ففعل. وقال علي بن الحسين: سألت الله ربي ثلاثاً فأعطاني: سألته أن يحل فيما حل في سميي من قبل -يعني: في علي أبيه- ففعل تعالى، وأن يرزقني العبادة ففعل، وأن يلهمني التقوى ففعل. يعني: مثلما رد الشمس حق علي أنا رديت الشمس أيضاً(٤٨).

ثانيا: علي بن الحسين يفهم لظبية أتته شاكية ظلم صياد بني أمية لها! فعن جابر بن يزيد الجعفي، عن الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين جالسا مع جماعة إذ أقبلت ظبية من الصحراء، حتى وقفت قدامه فهمهمت(٤٩) وضربت بيديها الأرض! فقال بعضهم: يا ابن رسول الله ما شأن هذه الظبية؟ قد أتتك مستأنسة. قال: تذكر أن ابنا ليزيد طلب من أبيه خشفا(٥٠)، فأمر بعض الصيادين أن يصيد له خشفا، فصاد بالأمس خشف هذه الظبية، ولم تكن قد أرضعته، وإنها تسأل أن نحمله إليها لترضعه وترده عليه. فأرسل علي بن الحسين عليه السلام إلى الصياد فأحضره وقال له: إن هذه الظبية تزعم أنك أخذت خشفا لها، وأنها لم تسقه لبنا منذ أخذته، وقد سألتني أن أسألك أن تتصدق به عليها. فقال: يا ابن رسول الله لست أستجرئ على هذا. قال: إني أسألك أن تأتي به إليها لترضعه وترده إليك. ففعل الصياد. فلما رأته همهمت ودموعها تجري، فقال علي بن الحسين عليه السلام للصياد: بحقي عليك إلا وهبته لها. فوهبه لها فانطلقت مع الخشف وهي تقول: أشهد أنك من أهل بيت الرحمة، وأن بني أمية من أهل بيت اللعنة(٥١).

٥- ومن المعجزات المنسوبة للإمام محمد الباقر:

أولا: الباقر يصنع فيلاً من طين يطير عليه!! فعن شاذان بن عمر قال: حدثنا مرة بن قبيصة، قال: قال لي جابر بن يزيد الجعفي: رأيت مولاي الباقر وقد صنع فيلاً من طين، فركبه وطار في الهواء، حتى ذهب إلى مكة ورجع إلينا، وطار في الهواء حتى ذهب إلى مكة ورجع عليه، فلم أصدق ذلك منه حتى رأيت الباقر عليه السلام، فقلت له: أخبرني جابر عنك بكذا وكذا، يقول: فصنع مثل ذلك فركب وحملني معه إلى مكة وردني(٥٢).

ثانيا: الباقر يهز الخيط فتزلزل المدينة بأهلها! جابر بن يزيد الجعفي أنه لما شكت الشيعة إلى زين العابدين عليه السلام مما يلقونه من بني أمية، دعا الباقر عليه السلام وأمره أن يأخذ الخيط الذي نزل به جبرئيل إلى النبي -صلى الله عليه وآله- ويحركه تحريكا، قال: فمضى إلى المسجد فصلى فيه ركعتين، ثم وضع خده على التراب وتكلم بكلمات، ثم رفع رأسه فأخرج من كمه خيطا رقيقا يفوح منه رائحة المسك وأعطاني طرفا منه، فمشيت رويدا فقال: قف يا جابر! فحرك الخيط تحريكا لينا خفيفا ثم قال: اخرج

فانظر ما حال الناس قال: فخرجت من المسجد فإذا صياح وصراخ وولولة من كل ناحية، وإذا زلزلة شديدة وهدة ورجفة، قد أخربت عامة دور المدينة، وهلك تحتها أكثر من ثلاثين ألف انسان، ثم صعد الباقر ﷺ المنارة فنادى بأعلى صوته: ألا أيها الضالون المكذبون، قال: فظن الناس أنه صوت من السماء، فخروا لوجوههم، وطارت أفئدتهم، وهم يقولون في سجودهم: الأمان الأمان، وإنهم يسمعون الصيحة بالحق، ولا يرون الشخص، ثم قرأ «فخر عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون» قال: فلما نزل منها وخرجنا من المسجد، سألته عن الخيط قال: هذا من البقية قلت: وما البقية يا ابن رسول الله؟ قال: يا جابر بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ويضعه جبرئيل لدينا(٥٣).

٦- ومن المعجزات المنسوبة للإمام جعفر الصادق:

أولا: الإمام الصادق يمسخ رجلاً إلى كلب ثم يعيده!! وهذا ما رواه علي بن أبي حمزة إذ يقول: حججت مع الصادق ﷺ وإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم أعظم سحراً من هذا -يعني: عملاً عمله الصادق- وذلك أنه ماذا فعل؟ نادى النخلة، قال: يا نخلة أطعمينا مما جعل الله فيك من رزق عباده، قال: فنظرت إلى النخلة وقد تمايلت نحو الصادق ﷺ وعليها أوراقها، وعليها الرطب، قال: ادن وسم وكل فأكلنا منها رطبا أعذب رطب وأطيبه، فإذا نحن بأعرابي يقول: ما رأيت كاليوم سحرا أعظم من هذا!! فقال الصادق ﷺ: نحن ورثة الأنبياء ليس فينا ساحر ولا كاهن، بل ندعو الله فيجيب، فان أحببت أن أدعو الله فيمسخك كلبا تهتدي إلى منزلك، وتدخل عليهم، وتبصبص لأهلك؟ قال الأعرابي بجهله: بلى فادع الله فصار كلبا في وقته، ومضى عليه وجهه، فقال لي الصادق ﷺ: اتبعه، فاتبعته حتى صار إلى منزله، فجعل يبصبص لأهله وولده، فأخذوا له عصا فأخرجوه، فانصرفت إلى الصادق ﷺ فأخبرته بما كان، فبينما نحن في حديثه إذ أقبل حتى وقف بينيدي الصادق ﷺ، وجعلت دموعه تسيل، فأقبل يتمرغ في التراب فيعوي فرحمه فدعا الله فعاد أعرابيا فقال له الصادق ﷺ: هل آمنت يا أعرابي؟ قال: نعم ألفا وألفا(٥٤).

ثانيا: الإمام الصادق يعيد معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام في إحياءه الطير! فقد روي عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند الصادق عليه السلام مع جماعة فقلت: قول الله لإبراهيم «خذ أربعة من الطير فصرهن» أكانت أربعة من أجناس مختلفة؟ أو من جنس؟ قال: أتحبون أن أريكم مثله؟ قلنا: بلى قال: يا طاووس فإذا طاووس طار إلى حضرته، ثم قال: يا غراب فإذا غراب بين يديه، ثم قال: يا بازي فإذا بازي بين يديه ثم قال: يا حمامة فإذا حمامة بن يديه، ثم أمر بذبحها كلها وتقطيعها ونتف ريشها، وأن يخلط ذلك كله بعضه ببعض ثم أخذ برأس الطاووس فرأينا لحمه وعظامه وريشه، يتميز من غيرها حتى ألصق ذلك كله برأسه. وقام الطاووس بين يديه حيا، ثم صاح بالغراب كذلك، وبالبازي والحمامة كذلك، فقامت كلها أحياء بين يديه(٥٥).

ثالثا: الإمام الصادق يفهم لغة الحيوانات ويساعد زوجة ذئب لتعسر ولادتها! فقد روى أبو بصير قال: جاء رجل إلى أبي عبد الله عليه السلام فسأله عن حق الامام، قال له: «تأتي ناحية أحد». فخرج فإذا أبو عبد الله عليه السلام يصلي، ودابته قائمة، وإذا ذئب قد أقبل، فسار أبا عبد الله عليه السلام كما يسار الرجل، ثم قال له: «قد فعلت» فقلت: جئت أسألك عن شيء فرأيت ما هو أعظم من مسألتي! فقال: «إن الذئب أخبرني أن زوجته بين الجبل قد عسر عليها الولادة فادع الله تعالى لها أن يخلصها مما هي فيه، فقلت قد فعلت، على أن لا يسلط أحدا من نسلكم على أحد من شيعتنا أبدا» فقلت: ما حق المؤمن على الله تعالى؟ قال: لو قال للجبال «أوبي لأوبت» فأقبل الجبل يتداك بعضه إلى بعض، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ضربت له مثلا، ليس إياك عنيت» فرجع إلى مكانه(٥٦).

٧- ومن المعجزات المنسوبة للإمام موسى الكاظم:

وقد نسبوا إليه معجزة منذ لحظة ولادته، فقد رووا على لسان أبيه جعفر الصادق أن والدته -وتدعى حميدة- ذكرت أنه لما سقط رأته واضعا على الأرض رافعا رأسه يسبح الله ويهلله ويصلي على رسول الله! فأكد الإمام الصادق: أن تلك أمارة رسول الله، وأمير المؤمنين، وأمارة الإمام(٥٧).

٨- ومن المعجزات المنسوبة للإمام علي الرضا:

أولا: أنه يقلب الحجر لذهب! فعن علي بن أسباط، قال: ذهبت إلى الرضا عليه السلام في يوم عرفة فقال لي: «أسرج لي حماري» فأسرجت له حماره، ثم خرج من المدينة إلى البقيع يزور فاطمة -عليها السلام-، فزار وزرت معه، فقلت: سيدي على كم أسلم؟ فقال لي سلم على فاطمة الزهراء البتول، وعلى الحسن والحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى محمد بن علي، وعلى جعفر بن محمد، وعلى موسى بن جعفر -عليهم أفضل الصلاة وأكمل التحيات- فسلمت على ساداتي ورجعت. فلما كان في بعض الطريق: قلت: يا سيدي إني معدم، وليس عندي ما أنفقه في عيدي هذا. فحك الأرض بسوطه، ثم ضرب بيده، فتناول سبيكة ذهب، فيها مائة دينار، فقال لي: «خذها» فأخذتها فأنفقتها في أموري(٥٨).

ثانيا: أنه يحي الموتى: ومن ذلك ما رواه معبد الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام فقلت: قد كثر الخوض فيك وفي عجائبك، فلو شئت إتياني بشيء أحدثه عنك؟ فقال: وما تشاء؟ فقلت: أن تحيي لي أبي وأمي. فقال: انصرف إلى منزلك، فقد أحييتهما لك. فانصرفت والله وهما في البيت أحياء، فأقاما عندي عشرة أيام، ثم قبضهما الله(٥٩).

٩- ومن المعجزات المنسوبة للإمام محمد الجواد التقي:

أنه يعلم ما تضمره النفوس! فقد رووا عن محمد بن فضيل الصيرفي، قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام كتابا، وفي آخره: هل عندك سلاح رسول الله -صلى الله عليه وآله-؟ ونسيت أن أبعث بالكتاب، فكتب عليه السلام إلي بحوائج له: وفي آخر كتابه: «عندي سلاح رسول الله -صلى الله عليه وآله- وهو فينا بمنزلة التابوت في بني إسرائيل يدور معنا حيث درنا، وهو مع كل إمام». وكنت بمكة، فأضمرت في نفسي شيئا لا يعلمه إلا الله فلما صرت إلى المدينة، ودخلت عليه، نظر إلي، فقال: «استغفر الله مما أضمرت ولا تعد...»(٦٠).

١٠- ومن المعجزات المنسوبة للإمام على الهادي:

ومنها انه علم منطق الطير! فقد رووا عن أبي هاشم الجعفري أنه قال: إنه كان للمتوكل مجلس بشبابيك كيما تدور الشمس في حيطانه، قد جعل فيها الطيور التي تصوت، فإذا كان يوم السلام جلس في ذلك المجلس فلا يَسمع ما يقال له، ولا يُسمع ما يقول من اختلاف أصوات تلك الطيور، فإذا وافاه علي بن محمد بن الرضا عليه السلام سكتت الطيور فلا يُسمع منها صوتٌ واحد إلى أن يخرج من عنده، فإذا خرج من باب المجلس عادت الطيور في أصواتها[٦١].

١١- ومن المعجزات المنسوبة للإمام حسن العسكري:

أولا: أنه يكلم الذئب ويجيبه! فعن عبد الله بن محمد، قال: رأيت الحسن بن علي السراج عليه السلام[٦٢] تكلم للذئب فكلمه، فقلت له: أيها الإمام الصالح، سل هذا الذئب عن أخ لي بطبرستان خلفته وأشتهي أن أراه. فقال لي: إذا اشتهيت أن تراه فانظر إلى شجرة دارك بسر من رأى، وكان قد أخرج في داره عينا تنبع عسلا ولبنا، فكنا نشرب منه ونتزود[٦٣].

ثانيا: غيابه في الأرض واستخراجه الحوت من تحت مصلاه! فعن أبي جعفر: قلت للحسن بن علي عليه السلام أرني معجزة خصوصية أحدث بها عنك. فقال: يا بن جرير، لعلك ترتد. فحلفت له ثلاثا، فرأيتهغاب في الأرض تحت مصلاه، ثم رجع ومعه حوت عظيم فقال: جئتك به من الأبحر السبعة، فأخذته معي إلى مدينة السلام، وأطعمت منه جماعة من أصحابنا[٦٤].

١٢- ومن المعجزات المنسوبة للإمام محمد بن الحسن العسكري:

كثيرة ولكن يكفي توضيح أمر ولادته -مع التناقض الظاهر فيه- بإظهار أكبر قدر ممكن من المعجزات التي نسجها الإمامية لهذا الإمام -المعدوم-!

أولاً: أنَّ حكيمة أقبلت تقرأ على نرجس القرآن فأجابها الجنين من بطن أمه! يقرأ مثلما تقرأ ثم سلّم عليها. مما أثار فزعها![٦٥]

ثانياً: أنَّ نرجس غُيِّبت عن حكيمة فلم ترها، كأنه ضرب بينها وبين نرجس حجاب، مما أثار استغرابها وصراخها، ولجوئها إلى أبي محمد، حيث قال لها: ارجعي يا عمة وستجدينها في مكانها، فلما رجعت وجدت من النور ما غشى بصرها! وإذا بالصبي ساجداً على وجهه![٦٦]

ثالثاً: تحليق عدد من الطيور فوق رأس الوليد، وقول الحسن لطير منها: احمله واحفظه ورده إلينا في كل أربعين يوماً، فتناوله الطير وطار به في جو السماء، مما جعل أمه تبكي لفراقه ولما سألت حكيمة ما هذا الطير؟ قال: هذا روح القدس الموكل بالأئمة، يوفقهم ويسددهم ويربيهم بالعلم. فلما كان بعد أربعين يوما رد الغلام، وكان يمشي كأنه ابن سنتين، مما دفعها للتساؤل بدهشة فقال لها ابن أخيها الحسن: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشؤون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وأن الصبي منا إذا كان أتي عليه شهر كان كمن آتي عليه سنة، وأن الصبي منا ليتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد ربه ﷻ وعند الرضاع تطيعه الملائكة، وتنزل عليه صباحاً ومساءً[٦٧].

رابعاً: أن حكيمة لم تزل ترى ذلك الصبي في كل أربعين يوماً إلى إن رأته رجلاً[٦٨] قبل مضي أبي محمد بأيام قلائل، فلم تعرفه![٦٩]

خامساً: بعض الروايات تذكر أنه لما خرج من بطن أمه سقط جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء، ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله داخراً لله غير مستنكف ولا مستكبر، ثم قال: زعمت الظلمة إنَّ حجة الله داحضة، ولو إذن لنا في الكلام لزال الشك[٧٠].

سادساً: وبعض الروايات تذكر أنَّ المهدي ولد من فخذ أمه![٧١]

سابعاً: وفي بعض الروايات أنه لما ولد المهدي بعث الله ﷻ ملكين فحملاه إلى سرادق العرش، حتى وقف بين يدي الله فقال له: (مرحباً بك.. بك أعطي، وبك أعفو، وبك أعذب...)[٧٢].

المبحث الثاني: دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية ونقده

المطلب الأول: صورة دليل المعجزة وأقوال علماء الشيعة الاثني عشرية فيه

أولا: أصل دليل المعجزة ومقدماته:

ذهب الإمامية الاثني عشرية إلى إثبات الإمامة بطريق الأدلة العقلية[٧٣] -على اختلاف فيما بينهم في حجيته-، ومن هذه الأدلة «دليل المعجزة».

ويعود أصل دلالة المعجزة إلى مسألة التحسين والتقبيح العقليين كما يقرره جعفر السبحاني بقوله: (إن دلالة المعجزة على صدق دعوى النبوة يتوقف على القول بالحسن والقبح العقليين؛ لأن الإعجاز إنما يكون دليلا على صدق النبوة، إذا قبح في العقل إظهار المعجزة على يد الكاذب، فإذا توقف العقل عن إدراك قبحه واحتمل صحة إمكان ظهوره على يد الكاذب، لا يقدر على التمييز بين الصادق والكاذب، فالذين أعدموا العقل ومنعوا حكمه بهما، يلزم عليهم سد باب التصديق بالنبوة من طريق الإعجاز)[٧٤].

ويقتضي قول الإمامية أنه من الواجب على الله تأييد الصادق بالمعجزات، يقول الإمامي محمد الخالصي: (يجب مع ذلك أن يكون النبي مؤيدا بالمعجزات الباهرات الخارقات للعادات مما لا يطيق على الإتيان بمثله البشر وإلا لصح لكل مدع أن يدعي ولم يعرف الصادق من الكاذب هذا ما يجب للأنبياء -عليهم السلام- بلطف الله وفضله)[٧٥].

ويعد هذا من الأصول التي اعتمد عليها المتكلمون -وخاصة المعتزلة والاثني عشرية- في الإيجاب على الله -تبارك وتعالى- أصل التحسين والتقبيح العقلي.

إذ يعتقد الاثنا عشرية بأنَّ الحسن والقبح صفتان ذاتيتان في الأشياء، والحاكم بالحسن والقبح هو العقل، والفعل حَسَنٌ أو قبيح، إما لذاته وإما لصفة من صفاته لازمة له، وإما لوجوه واعتبارات أخرى، والشرع كاشف ومبين لتلك الصفات فقط، وبناء على القول

بالحسن والقبح العقليين قالوا: إنَّ الله ﷻ لا يدع فعل ما هو أصلح لعباده؛ لطفاً بهم، ولأنَّه أولى به، وعدوا ذلك من أمور العدل، فكل ما حكم العقل بحسنه -بمعنى أنَّ تركه نقص يتنزه الله عنه- فهو واجب على الله ﷻ(٧٦) -وسيأتي مناقشة هذا الأمر في المطلب الثاني بإذن الله-.

وكذلك يرى علماء الاثني عشرية -من خلال الروايات المنسوبة إلى أئمتهم- أنَّ المعجزات كما أنها دليل صدق الأنبياء فهي كذلك دليل صدق الأئمة، وبما أن المعجزات ظهرت على أيدي أئمتهم الاثنا عشر، إذن فهم المستحقون بالإمامة دون غيرهم.

وكما ظهر دليل المعجزة بمقدماته عند المتقدمين من خلال الروايات المنسوبة إلى أئمتهم -صحيحة كانت أو ضعيفة-، ظهر عند المتأخرين بالمقدمات العقلية، فهم قد فهموا من هذه الروايات ضرورة تأييد الإمام بمعجزات تدل على صدقه، وعدّو ذلك من الأدلة العقلية على الإمامة لهم.

ويتضح هذا الدليل بصورته المتأخرة بقيامه على أمرين:

الأمر الأول:

وجوب تأييد الإمام بمعجزات، وتفصيله عند الإمامية:

بما أنَّ الإمام كالنبي.

وبما أنَّ النبي مؤيد بالمعجزات.

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي: أنَّ الإمام مؤيد بالمعجزات.

الأمر الثاني:

المعجزات دليل صدق الأئمة في دعواهم، وتفصيله عند الإمامية:

بما أنَّ دليل صدق المدعي ظهور المعجزات.

وبما أنَّ المعجزات ظهرت على أيدي الأئمة.

فالنتيجة التي ذهب إليها الإمامية الاثنى عشرية هي: صدق دعوى الأئمة لقيام الدليل عليها.

ثانيا: أقوال علماء الشيعة الاثني عشرية بدليل المعجزة:

كما كانت حاجة الإمامية إلى دليل المعجزة في إثبات الإمامة لأئمتهم المنصوص عليهم، كانت الحاجة أكبر وأشد في إثبات إمامة الأئمة الغير منصوص عليهم! يقول أحمد الكاتب في هذا الأمر: (الفكر الإمامي يعجز عن إثبات النصوص على الأئمة الاثني عشر، وخاصة الإمام علي بن الحسين، الذي يشكل حلقة الوصل بين الإمام الحسين، وبين بقية أبنائه إلى يوم القيامة.

ولذلك يذهب إلى الاعتماد على وسائل أخرى غير النص في إثبات الإمامة للأئمة الآخرين، وهي الوصية والعقل والمعاجز وما إلى ذلك)[٧٧].

ويقول كذلك: (وكانت النظرية الامامية، أيضا، تعترف بعدم وجود النص الصريح من بعض الأئمة على بعض، فكانت تتشبث بالوصية العادية وتعتبرها دليلا على الإمامة، ولما لم تكن توجد أية وصية على بعض الأئمة الآخرين من آبائهم، كالإمام زين العابدين، أو كانت الوصية مشتركة بين عدد من الأخوة، كأبناء الإمام الكاظم، فقد كانت النظرية تقول: بأن دليل الإمامة الحاسم، هي المعاجز، وعلم الغيب، أو الكبر، أو العلم، أو حيازة سيف رسول الله.

بل إن روايات كثيرة تشير إلى عدم معرفة الأئمة أنفسهم بإمامتهم، أو إمامة الإمام اللاحق من بعدهم، إلا عند وفاتهم. فضلا عن جهل الشيعة الامامية أنفسهم، الذين كانوا يقعون في حيرة واختلاف بعد وفاة كل إمام، وكانوا يتوسلون بكل إمام أن يعين اللاحق بعده ويسميه بوضوح، لكي لا يموتوا وهم لا يعرفون الإمام الجديد. ومع ذلك فكثيرا ما كانوا يقعون في الحيرة والجهل)[٧٨].

وقد بنى علماء الإمامية الاثني عشرية أقوالهم بدليل المعجزة على ما نسبوه إلى الأئمة من مرويات، وفي مقدمتها الروايات التي تثبت أن الطريق لمعرفة الحجة والإمام هو المعجزة!

فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأي علة اعطى الله عز وجل أنبيائه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: ليكون دليلا على صدق من أتى به والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلا أنبيائه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب)[٧٩].

وعن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد -عليهما السلام- قال: عشر خصال من صفات الإمام: العصمة[٨٠]، والنصوص، وأن يكونأعلم الناس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله، وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة، ويكون له المعجز والدليل، وتنام عينه ولا ينام قلبه، ولا يكون له فيئ، ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه[٨١].

وعن عبد الله بن أبي يعفور قال: قال أبوعبدالله جعفر بن محمد عليه السلام: (ما من معجزة من معجزات الأنبياءوالأوصياء إلا ويظهر الله -تبارك وتعالى- مثلها في يد قائمنا؛ لإتمام الحجة على الأعداء)[٨٢].

إذ لا يمكن أن تكون المعجزات إلا للأنبياء وللسفراء -الذين هم الأئمة- ففي رواية منسوبة إلى علي رضي الله عنه يصف فيها الأئمة بأنهم السفرة بين الله تبارك وتعالى وخلقه، إذ يقول: (...أصفياء الله الذين قرنهم الله بنفسه ورسوله، وفرض على العباد من طاعتهم مثل الذي فرض عليهم منها لنفسه... والمعجزات التيلا تنبغي إلا لله وأصفيائه، والسفرة بينهوبين خلقه...)[٨٣].

وفي وصف الأئمة بالسفراء بين الله وخلقه، كما يقول النعماني يقول في مقدمة كتابه «الغيبة»: (ونحن نسأل الله بوجهه الكريم وشأنه العظيم... أن يجعل محيانا ومماتنا وبعثنا على ما أنعم به علينا من دين الحق وموالاة أهله الذين خصهم بكرامته، وجعلهم السفراء بينه وبين خلقه، والحجة على بريته...)[٨٤].

فكما أن المعجزة دلت على صدق النبي في دعواه، كذلك المعجزة دلت على صدق الإمام في دعواه!

قال ابن التلمساني: (شرط المعجزة أن يكون إخبار النبي بأنه نبي للتحدي بها، والفرق بينهما وبين الآية أن المعجزة ما وقع التحدي بها، فإن كان المدعي نبيا دلت على صدق نبوته، وإن كان وليا دلت على صدق ولايته)[٨٥].

و يقول المفيد: (إن كل إمام منهم نص على من بعده نصا متواترا بالخلافة؛ ولأنهم -صلوات الله عليهم- ظهر عنهم معجزات وكرامات خارقة للعادة لم تظهر على يد غيرهم كعجن الحصى وختمه وأمثال ذلك)[٨٦].

ويذهب الطوسي بأن المعجزات كانت سببا في تراجع أصحاب الأئمة عن قولهم بالوقف[٨٧] إذ يقول: (ويبطل ذلك أيضاً ما ظهر من المعجزات على يد الرضا عليه السلام الدالة على صحة إمامته، وهي مذكورة في الكتب. ولأجلها رجع جماعة من القول بالوقف مثل: عبدالرحمن بن الحجاج، ورفاعة بن موسى، ويونس بن يعقوب، وجميل بن دراج وحماد بن عيسى وغيرهم، وهؤلاء من أصحاب أبيه الذين شكوا فيه ثم رجعوا. وكذلك من كان في عصره، مثل: أحمد بن محمد بن أبي نصر، والحسن بن علي الوشاء وغيرهم ممن قال بالوقف، فالتزموا الحجة وقالوا بإمامته وإمامة من بعده من ولده)[٨٨].

ويقول ابن مطهر الحلي: (ذهبت الإمامية كافة إلى أن الطريق إلى تعيين الإمام أمران:

١- النص من الله تعالى، أو نبيه، أو إمام ثبتت إمامته بالنص عليه.

٢- أو ظهور المعجزات على يده؛ لأن شرط الإمامة العصمة، وهي من الأمور الخفية الباطنة التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

إضافةً لذلك ألف بعض فقهاء الطائفة كتب كاملة لجمع دلائل إمامة الأئمة وأملؤها بذكر معجزات كل إمام كدلائل الإمامة للطبري، وإثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للحر العاملي)[٨٩].

يقول الإمامي أبو الصلاح الحلبي: (ومن الحجة على إمامة أعيان الأئمة -عليهم السلام-، أنا قد دللنا على وقوف تعيين الإمام على بيان العالم بالسرائر سبحانه بمعجز يظهر على يديه، أو نص يستند إليه، وكلا الأمرين ثابت في إمامة الجميع.

أما المعجز فعلى ضروب:

منها: الإخبار بالكائنات، ووقوع المخبر مطابقا للخبر.

ومنها: الإخبار بالغائبات. ومنها: ظهور علمهم ذي الفنون العجيبة في حال الصغر والكبر، وتبريزهم فيه على كافة أهل الدهر، على وجه لم يعثر عليهم بزلة ولا قصور عند نازلة ولا انقطاع في مسألة، من غير معلم ولا رئيس يضافون إليه غير آبائهم، وفيهم من لا يمكن ذلك فيه، كالرضا وأبي جعفر وأبي محمد -عليهم السلام-.

وإعجاز هذه الطريقة من وجهين:

أحدهما: أن العادة لم تجر فيمن ليس بحجة أن يتقدم في علم واحد -فضلاً عن عدة علوم- من غير معلم.

الثاني: أن كل عالم عدا حجج الله سبحانه محفوظ عنهم التقصير عند المشكلات، والعجز عند كثير من النوازل، والانقطاع في المناظرة. ومنها: تعظيمهم مدة حياتهم من المحق والمبطل، وشهادة الكل على لؤم من ينقصهم وإن كان عدوا، والإشارة بذكرهم بعد الوفاة، وخضوع العدو والوليل مشاهدهم، وهجرة الفرق المختلفة إليها، وتقربهم إلى مالك الثواب والعقاب سبحانه بحقهم، مع فقد الخوف منهم والطمع فيما عندهم، وحصول عكس هذا الأمر فيمن عداهم من منتحلي الإمامة وذوي الخلافة بنفوذ الأمر وثبوت الرجاء والخوف.

وهذه الطرق منها ما هو معلوم ضرورة، كظهور علمهم، وثبت تعظيمهم في الحياة وبعدها.

ومنها ما هو معلوم لكل ناظر في الأخبار ومتأمل الآثار؛ لثبوت التواتر بهك النص...)[٩٠].

ويذهب قطب الدين الراوندي إلى أن الإجماع قد انعقد بثبوت معجزات الأئمة، فيقول: (إن إجماع الفرقة المحقة منعقد على صحة أخبار معجزات الرسول والأئمة من أهل بيته -عليهم السلام- وإجماعهم حجة[٩١]؛ لأن فيهم معصوما)[٩٢].

ويقول عالم الإمامية هاشم البحراني: (اعلم أن المعجزات من الأنبياء والأئمة دليل على صدقهم على الله -سبحانه- في دعواهم النبوة والإمامة؛ لأن المعجز الخارق للعادة، فعله تعالى، وإقدارهم على ذلك منه جل جلاله، ومن المعاجز مثل كتابة أسمائهم على ساق العرش، والحجب والشمس والقمر، وما شاكل مثل كتابتهم على الأشجار وغيرها)[٩٣].

فلذلك يقررو نفي كتبهم هذه العقيدة، يقول محسن الخزازي: (إن ظهور المعجز على يد النبي أو الإمام شاهد صدقه إذ لو كان كاذبا وجب على الحكيم المتعالي تكذيبه وإلا لزم الإغراء إلى الضلالة وهو لا يصدر منه تعالى)[٩٤].

ويقول الصدر: (كما كانت المعاجز من أدلة صدق النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- ومن قبله من الأنبياء والمرسلين كذلك تكون من أدلة إمامة الأئمة المعصومين -عليهم السلام-.

فإنهم -سلام الله عليهم- أخبروا بإمامتهم ووصايتهم عن الله تعالى مقرونا بمعاجزهم الساطعة وآياتهم اللامعة التي هي من شواهد قطعية، ودلائل وجدانية على صدق كلامهم، وصدق إمامتهم، وحقيقة انتصابهم من قبل ربهم، وإلا لم يكونوا قادرين على إتيان مالم يقدر عليه إلا رب العالمين، ولما كانوا مؤيدين بالآيات التي تكشف عن كونها آيات الحق المبين.

وقد جمعت تلك المعجزات الباهرات في الأجزاء الثلاثة من كتاب «إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات» للمحدّث الحر العاملي، وكتاب «مدينة المعاجز» للسيد البحراني، وكتاب «الثاقب في المناقب» للفقيه ابن حمزة الطوسي، والمجلد الحادي والأربعين، والثاني والأربعين من «بحار الأنوار» لشيخ الإسلام المجلسي)[٩٥].

ويقول محمد بن جرير الطبري الشيعي: (جعلهم -صلوات الله عليهم- كاملين معصومين، قادرين عالمين بما كان وبما يكون، ليقيموا للناس البراهين الساطعة، والدلائل الواضحة، وليظهروا القدرة الباهرة، والمعجزة التامة التي تشهد بصدق قولهم: أنه من قبل الصانع القديم الأزلي رب العالمين، خالق السماوات والأرضين جلت عظمته. ولو لم يجعلهم كذلك -قادرين كاملين عالمين معصومين- لم تبد من أولهم وأوسطهم وآخرهم

القدرة الباهرة، والمعجزة التامة، والبراهين الساطعة، والدلائل الواضحة، والعلوم الكاملة، وما اتبعهم أحد، وما آمن بهم نفر ولصارت أمور الخلق داعية إلى البوار وذهاب الحرث والنسل، وشاهد ذلك قول الله ﷻ: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، (الأنعام/١٤٩)، والحجة البالغة هي الرسل والأئمة -عليهم السلام-، الذين احتج الله تعالى بهم على الملائكة والجن والإنس. والحجة البالغة -فيما وصف الله تعالى من حججه- حجة لا تخلو من أن تكون بالغة من بعض الاحتجاج، وفوقها ما هو أبلغ منها وأتم وأكمل في كل الاحتجاج. وأن تكون «بالغة» في كل الاحتجاج حتى لا يكون فوقها تام هو أتم منها. ولإكمال هو أكمل من صفاتها، فان كانت بالغة في بعض الاحتجاج دون بعض. وفوقها ما هو أتم وأكمل منها، فهي حجة ناقصة عن حدود التمام والكمال. ثم لا يخلو الحكيم القادر عز وجل من أن يكون قادرا على الاحتجاج على خلقه في الأتم والأبلغ والأكمل، أو أن يكون غير قادر على ذلك، فإن كان غير قادر -ونعوذ بالله من هذا القول- لزم أن يكون مخصوص القدرة، ومعتل الحكمة، فيكون قادرا على الشيء عاجزا عن غيره، حكيما في شيء غير حكيم في غيره. وهذه صفات خارجة عن صفات أفعال الحكيم، لأنها كلها توجب الاضطرار فيما عجز عنه وغفل عن الحكمة فيه، ولا يوجب هذا ممن أقر بالصانع القديم إلا جاهل عمي، وغافل غوي. فإن كان قادرا على الاحتجاج بالأتم والأكمل لزم في حكم الحكمة وتمام القدرة أن يحتج على خلقه بكمال حجة، وتمام دعوة. وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ يوجب أنه ليس فوقها أبلغ ولا أتم ولا أكمل منها، وأنها بالغة التمام والكمال في جميع وجوه الاحتجاج. ويوجب باضطرار -لا محيص عنه- أن حججه والداعين إليه والناطقين عنه -عليهم السلام- معصومون، قادرون على كل شيء، عالمون بما كان وبما يكون إلى آخر الزمان. وإذ أثبت ولزم أن نبينا -صلى الله عليه وآله- بهذه الصفة في العصمة والكمال والقدرة، وأن الأنبياء الذين أرسلهم الله قبله كانوا بهذه الصفة، وكذلك أوصياؤهم الذين هم حجج الله في أرضه، لزم أن يكون الأئمة الذين يقومون مقام نبينا -صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين-)[٩٦].

يقول محمد بن جرير الطبري الشيعي: (وإذا لزم وثبت أن الأئمة الطاهرة من عترة نبينا -صلى الله عليه وآله-، الذي هو سيد المرسلين وخاتم النبيين -صلى الله عليه وآله-

هم الحجج البالغة لله سبحانه في أرضه، ثبت لهم صحة المعجزات التامة، والقدرات الباهرة، والبراهين الواضحة، التي كانوا يحتجون بها على عباد الله، ويظهرونها لهم كما كانت الأوصياء وخلفاء الأنبياء الذين تقدموا نبينا –صلى الله عليه وآله وعليهم أجمعين– الذي هو سيدهم لأولهم وآخرهم أظهروها للأمم السالفة واحتجوا بها عليهم)[٩٧].

ويقول علي الكوراني العاملي: (إنهم أوصياء النبي هم الأئمة الربانيون الذين بشر بهم، وأمر الأمة بمودتهم وطاعتهم، وجعلهم عدل القرآن في وجوب التمسك بهم! لقد حاول الحكام القرشيون أن ينكروا هذه الجنبة في شخصيات الأئمة –عليهم السلام– لكنهم عجزوا بسبب قوة نصوصها وقوة واقعها! فقد واجهتهم معجزات الأئمة –عليهم السلام– وأفحمتهم! وما زالت النصوص والمعجزات تواجه أتباعهم حتى يظهر الله خاتمهم الموعود عليه السلام فيظهر به الحق، ويظهر دينه على الدين كله!)[٩٨].

ويخلط الإمامي أبو طالب التجليل التبريزي بين الكرامة والمعجزة، ويعد ما ظهر على أيدي الأئمة أنه يعد من الكرامات، فيقول: (حول معجزات الأئمة يشكل بعضهم على الشيعة بأنهم يعتقدون بأن للأئمة –عليهم السلام– معجزات كمعجزات الأنبياء –عليهم السلام–.

الجواب: المراد من المعجزات التي نعتقد أنها للأئمة –عليهم السلام– هو: الكرامات الخاصة لهم؛ لإثبات إمامتهم ووصيتهم لرسول الله –صلى الله عليه وآله–، وكونهم حجة الله على الناس، والواسطة بينهم وبين رسول الله)[٩٩].

وكذلك يقول محمد صالح المازندراني: (ينبغي أن يعلم أن الأمر الخارق للعادة من حيث إنه دال على صدق من أتى به وحقيقته يسمى آية وعلامة وبينة، ومن حيث إنه دال على أن صاحبه مكرم من عند الله تعالى يسمى كرامة ومن حيث إنه دال على تصديقه تعالى إياه يسمى معجزة...)[١٠٠].

ويوافقهما الإمامي محمد بن سليمان الحلبي في ذلك، فيقول: (وكل كرامة لولي تكون معجزة لمتبوعه... تتمة ينبغي للولي الذي أكرمه الله تعالى أن يجتهد في كتمان ما خصه الله به من الكرامات، ولا يظهره بالدعوى، فإنه انحطاط في درجته ونقصان في مرتبته لاستر

بينه وبين ربه فلا ينبغي أن يبوح به، كما قال قائلهم: «من باح بالسر كان القتل سيمته»، وأما ما يظهره بعضهم مما يزعم به المكاشفات، والعلم بالمغيبات مع جهله بأمور الدين، فإنما هو شأن الدجالين الزائغين عن الحق المبين)(١٠١).

ولا يكفي في تعيين الإمام الثاني عشر النص إذ لابد من المعجزة لتمييزه عند الإمامية، يقول المرتضى: (قد علمنا أنّ علمنا أنّ العلم بإمام الزمان على سبيل التعيين والتمييز لا يتّم إلاّ بالمعجز، فإنّ النصّ في إمامة هذا الإمام خاصةً غير كافٍ في تعيّنه، ولا بُدّ من المعجز الظاهر على يده حتى نصدّقه في أنّه ابن الحسن –عليهما السلام–)(١٠٢).

و يقول أيضاً: (فإذا قيل: وكيف يطاع هذا المستخلف؟! ومِن أين يَعلم الوليّ الذي يريد تأديبه أنّه خليفة الإمام؟!

قلنا: بمعجزٍ يظهره الله تعالى على يده، فالمعجزات على مذاهبنا تظهر على أيدي الصالحين فضلاً عمّن يستخلفه الإمامُ ويقيمه مقامه)(١٠٣).

و يقول المفيد: (فإن قيل ما الطريق إلى معرفته حين ظهوره بعد استتاره عليه السلام –أي الإمام المهدي–؟ فالجواب: الطريق إلى ذلك ظهور المعجز على يده)(١٠٤).

وكذلك يقول المجلسي: (المقصود من هذه الاخبار عدم التزلزل في الدين والتحير في العمل أي تمسكوا في أصول دينكم وفروعه بما وصل إليكم من أئمتكم، ولا تتركوا العمل ولا ترتدوا حتى يظهر إمامكم، ويحتمل أن يكون المعنى: لا تؤمنوا بمن يدعي أنه القائم حتى يتبين لكم بالمعجزات)(١٠٥).

ويقول وحيد الخراساني: (معجزات الإمام المهدي –صلوات الله عليه– في غيبته قال الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه في كتابه: (وأما ظهور المعجزات الدالة على صحة إمامته في زمان الغيبة فهي أكثر من أن تحصى غير أنا نذكر طرفا منها...)(١٠٦) فإذا كانت معجزاته إلى زمن الشيخ الطوسي –رحمه الله– الذي توفي ٤٦٠ هجرية، أكثر من حد الإحصاء، فكم تبلغ إلى زماننا هذا؟!)(١٠٧).

بل لم يصدق الشيعة بسفراء الإمام المهدي حتى تبين لهم عن طريق المعجزات! يقول المجلسي في ذلك: (أما الأبواب المرضيون والسفراء الممدوحون في زمن الغيبة فأولهم الشيخ الموثوق به أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري نصبه أولا أبو الحسن علي بن محمد العسكري ثم ابنه أبو محمد الحسن بن علي -عليهم السلام- فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثم بعد ذلك قام بأمر صاحب الزمان ﵇ وكانت توقيعاته وجوابات المسائل تخرج على يديه. فلما مضى لسبيله قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه وناب منابه في جميع ذلك فلما مضى قام بذلك أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت فلما مضى قام مقامه أبو الحسن علي بن محمد السمري ولم يقم أحد منهم بذلك إلا بنص عليه من قبل صاحب الزمان ﵇ ونصب صاحبه الذي تقدم عليه فلم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على يد كل واحد منهم من قبل صاحب الأمر ﵇ تدل على صدق مقالتهم، وصحة نيابتهم)[١٠٨].

المطلب الثاني: نقد دليل المعجزة على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية

أولا: نقد أصل دليل المعجزة ومقدماته

سبق وأن ذكرت أن دلالة المعجزة عند الإمامية تعود إلى مسألة التحسين والتقبيح العقليين؛ لأن الإعجاز إنما يكون دليلا على صدق النبوة، إذا قبح في العقل إظهار المعجزة على يد الكاذب!

وبالتالي فهم ينطلقون من مبدأ أن إظهار المعجزة على يدي المتنبئ الكذاب قبيح والله -سبحانه- منزه عن فعل القبيح. وهم بهذا القول قد وافقوا المعتزلة وغيرهم في هذا الأمر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن إظهار المعجزة على يدي المتنبئ الكذاب قبيح والله -سبحانه- منزه عن فعل القبيح، وهذه الطرق سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقبيح وطعن فيها من ينكر ذلك، ثم إن المعتزلة جعلوا هذه أصل

دينهم والتزموا بها لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة بل وصريح العقل في مواضع كثيرة، وحقيقة أمرهم أنهم لم يصدقوا الرسول إلا بتكذيب بعض ما جاء به وكأنهم قالوا: لا يمكن تصديقه في البعض إلا بتكذيبه في البعض، لكنهم لا يقولون: إنهم يكذبونه في شيء بل تارة يطعنون في النقل وتارة يتأولون المنقول، ولكن يعلم بطلان ما ذكروه إما ضرورة وإما نظرا، وذلك أنهم قالوا: إن السمع مبني على صدق الرسول وصدقه على أن الله تعالى منزه عن فعل القبيح، فإن تأييد الكذاب بالمعجزة قبيح والله منزه عنه، قالوا: والدليل على أنه منزه عنه أن القبيح لا يفعله إلا جاهل بقبحه أو محتاج، والله سبحانه منزه عن الجهل والحاجة... والمقصود هنا: ما يتعلق بتقرير النبوة وقد يقال: يمكن تقرير كونه -سبحانه- منزها عن تأييد الكذاب بالمعجزة من غير بناء على أصل المعتزلة بما علم من حكمة الله تعالى في مخلوقاته ورحمته ببريته وسنته في عباده. فإن ذلك دليل على أنه لا يؤيد كذابا بمعجزة لا معارض لها.

ويمكن بسط هذه الطريقة وتقريرها بما ليس هذا موضعه في أنه كما علم بما في مصنوعاته من الإحكام والإتقان أنه عالم، وبما أن فيها من التخصيص أنه مريد فيعلم بما فيها من النفع للخلائق أنه رحيم، وبما فيها من الغايات المحمودة أنه حكيم)[١٠٩].

وبعد أن ذكر -رحمه الله- الآيات والأدلة الدالة على قدرة الله -تبارك وتعالى- ومشيئته والآيات الدالة على إنعامه ورحمته وحكمته قال: (فبهذا وأمثاله يعلم أنه لا يؤيد كذابا بالمعجزة لا معارض لها، لأن في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ما تمنعه رحمته، وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته...)[١١٠].

كذلك من المعلوم أنَّ التحسين، والتقبيح هو المقتضى الضروري لثبوت الحسن والقبح الذاتيين؛ لأنَّ صريح الدلالة العقلية للإنسان تؤكد فطرته على محبة الكمال، وكراهية النقص، وإذا كانت حقيقة الحسن الذاتي إنما هي الاتصاف بالكمال، فلا بد أن يكون محبوباً وملائماً لدلالة العقل الصريح، وإذا كانت حقيقة القبح الذاتي إنما هي الاتصاف بالنقص فلا بد أن يكون مكروهاً منافراً لدلالة العقل الصريح.

وليس التحسين والتقبيح العقليان إلا هذه الملاءمة، والمنافرة؛ ولهذا فإنه يلزم من أثبت الحسن والقبح الذاتيين أنَّ يقول بالتحسين والتقبيح بهذا المعنى؛ إذ هو مقتضاه الضروري، كما يلزم من نفى التحسين والتقبيح أن ينفي الحسن والقبح الذاتيين؛ إذ هو متعلقه الضروري، فلا يمكن إثبات أحد هذين الأصليين، أو نفيه دون الآخر، بل لا بد أن يثبتا معاً، أو يُنفيا معاً، وهذه هي حقيقة التلازم بينهما(١١١).

كما لا يستلزم من ثبوت الدلالة العقلية للتحسين، والتقبيح للأفعال أن يستغني العقل عن الوحي، بحيث لا يكون الناس في حاجة إلى الرسالة، بل إنَّ هذا من أفسد ما يمكن تصوره؛ وذلك أنَّ الوحي إمَّا أن يختص من المعارف بما لا يمكن أن تدل عليه الضرورة العقلية، وإمَّا أن تتطابق دلالة الوحي ودلالة العقل على حسن الفعل، أو قبحه فيما يشترك فيه الوحي والعقل كما هو الحال في الأحكام المترتبة عليهما من حيث الجملة باعتبار المصالح، والمفاسد.

ولكن ما يختص به الوحي من المعارف فليس للعقل فيه مجال، كما هو الحال في مسائل الاعتقاد الغيبية، وما يتعلق ببعض الشعائر التعبدية(١١٢).

ولكن كلما سلم عقل المرء كان من نعمة الله عليه أن تتطابق عنده دلالة الوحي مع مقتضى إدراكه العقلي، وتكون مطابقة العقل للوحي داعية إلى التصديق بالوحي، لا إلى الاستغناء عنه، يقول ابن قيم الجوزية –رحمه الله–: (إنَّ ما أمرت به الرسل هو الحسن، وما نهت عنه هو القبيح طريق إلى تصديق الرسل، وأنَّهم جاؤوا بالحق من عند الله، ولهذا قال بعض الأعراب، وقد سئل بماذا عرفت أنَّ محمداً رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به. أفلا ترى هذا الأعرابي كيف جعل مطابقة الحسن، والقبح الذي ركب الله في العقل إدراكه لما جاء به الرسول شاهداً على صحة رسالته، وعلماً عليها، ولم يقل إن ذلك يفتح طريق الاستغناء عن النبوة)(١١٣).

ومما يبين عدم الاكتفاء بالإدراك العقلي للمصالح، والمفاسد عن الأحكام الشرعية أنَّ من المصالح والمفاسد ما يكون ظاهراً جلياً، ومنها ما يكون خفياً لا يدركه كل أحد،

فالحاجة إلى الوحي فيما يتعلق بالمصالح، والمفاسد الخفية ظاهر، وأما ما يكون ظاهراً فإنه قد تعرض له أحوال تخفى فيه وجه المصلحة، أو المفسدة فلا يكون بيان ذلك إلا من جهة الوحي، وكما يقول ابن قيم -رحمه الله-: إنَّ من الأفعال ما (يكون مشتملاً على مصلحة، ومفسدة، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح، أم مصلحته؟ فيتوقف العقل في ذلك! فتأتي الشرائع ببيان ذلك، وتأمر براجح المصلحة، وتنهى عن راجح المفسدة.

وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره، والعقل لا يدرك ذلك، فتأتي الشرائع ببيانه فتأمر به من هو مصلحة له، وتنهى عنه من حيث هو مفسدة في حقه، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة، والمفسدة الراجحة، هذا مع أنَّ ما يعجز العقل عن إدراكه من حسن الأفعال، وقبحها، ليس بدون ما تدركه من ذلك، فالحاجة إلى الرسل ضرورية، بل هي فوق كل حاجة... فإن كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال، وقبحها فمن أين له معرفة الله -تعالى- بأسمائه، وصفاته، وما الآية التي تعرف بها الله إلى عبادة على ألسنة رسله؟ ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه، ودينه الذي شرعه لعباده؟ ومن أين له تفاصيل مواقع محبته، ورضاه، وسخطه، وكراهته؟... إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله، وليس في العقل طريق إلى معرفته فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال، وقبحها بالعقل مغنياً عما جاءت به الرسل؟)[١١٤].

ويظهر بطلان الوجوب العقلي على الله -تبارك وتعالى- من عدة أوجه:

الأول: أنَّ العقل لا يدرك مواقع رضا الرب وسخطه على سبيل التفصيل فكيف يجوز له أن يحكم على ربه -سبحانه- بأنَّه يجب عليه أن يمدح أو يذم أو يعاقب أو يثيب؟!

الثاني: أنَّ ما ذهبوا إليه يستلزم استعلاء المخلوق على الخالق، وهو محال.

الثالث: أنَّ الإيجاب من خارج الذات يستلزم سلب الاختيار، وهو محال في حق ذي القدرة المطلقة والمشيئة النافذة.

الرابع: أنَّ الإيجاب العقلي ينافي استحقاق الحمد؛ لأنَّه لو وجب على الله بمقتضى العقل فعل أو ترك لما استوجب بفعله حمداً وثناءً؛ لأنَّه إنما قضى ما استوجبه العبد بعمله.

الخامس: القول بالوجوب العقلي على الله ﷻ من باب التسوية بين الخالق والمخلوق فيما يَحسُن ويَقْبُح، فقد قاسوا الله ﷻ بخلقه، فهم يوجبون على الله ﷻ من جنس ما يوجبون على العباد، ويحرمون عليه -تبارك وتعالى- من جنس ما يحرمون على العباد فهم مشبهة الأفعال[١١٥].

وبما أنَّ الحسن والقبح شرعيان عقليان فقد منع أهل السُّنة أن يوجب العقل على الله ﷻ شيئاً، ولكن لم يمنعوا أن يوجب الله ﷻ على نفسه بعض الأمور التي يقتضيها كماله، والتي أخبر أنَّه أوجبها على نفسه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، (الأنعام/٥٤).

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: (لَمَّا قَضَى الله الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)[١١٦].

هذا، ولا يلزم من كونه -تعالى- أوجب على نفسه بعض الأمور أن يكون فاعلاً لها بالإيجاب، لا اختيار له فيها؛ لأنَّه -سبحانه- أوجبها على نفسه باختياره، فإذا شاء الحسن واختاره لم يكن ذلك نافياً للاختيار، فاختياره وإرادته اقتضت التعلق بما كان حسناً، على وجه اللزوم، فكيف لا يكون مختاراً؟!

أما بالنسبة لمقدمات الدليل وهي وجوب تأييد الأئمة بالمعجزات وهي دليل صدق دعواهم!

فيمكن نقضها بوجوه، منها:

الأول: أن وصف الشيء بكونه معجزة فرع عن إثبات وقوعه ووجوده، فلا تكون المعجزة معجزة إلا إذا كانت موجودة في العالم الخارجي محسوسة حتى تؤدي رسالتها الإعجازية وهو بحث تاريخي أخباري.

الثاني: إذا كان دليل وجودها هو نقلها في الآثار، فشرط إثبات المعجزات من طريق النقل هو النقل التواتري، كما ذكره ابن حزم[١١٧].

الثالث: قول الإمامية: لا يوجد فرق بين النبي والإمام! وبالتالي كما أن النبي مؤيد بالمعجزات كذلك الإمام مؤيد بالمعجزات!

أقول لهم: لماذا لم ينص الباري -تبارك وتعالى- على إمامة الأئمة في كتابه الكريم بدلاً من اختلاف الناس حولهم ما يزيد على الألف والمئتين سنة؟!

ولماذا الباري -تبارك وتعالى- لم يبين أن للأئمة آيات كما بين في كتابه الكريم أن للأنبياء آيات بينات؟!

وكذلك لماذا لم يبين لنا رسول الله ﷺ أن للأئمة آيات كما نص أن للأنبياء آيات -كما سبق بيانه في الحديث-؟

ورسول الله ﷺ قد بين لنا جميع أصول الدين الظاهرة والباطنة، قال النبي ﷺ: (قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[١١٨].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن رسول الله ﷺ بين جميع الدين وأصوله وفروعه، باطنه وظاهره، علمه وعمله، فإن هذا الأصل هو أصل أصول العلم والإيمان...)[١١٩].

ثانيا: نقد دليل المعجزة على الإمامة عقلا:

يتمثل الرَّد على دليل المعجزة[١٢٠] الذي احتج به الاثني عشرية على إثبات الإمامة من جهة العقل من عدة وجوه:

الأول: إن أئمة آل بيت رسول الله ﷺ أجلاء وكبار في عيون المسلمين كافة، ويكفيهم فخرا أنهم من نسل خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، وهم ليسوا بحاجة إلى هذه المغالاة الفارغة ليزيد من احترام الناس لهم، بل إن مردودها عكسي عليهم؛ لأنهم يصورون بهذه الطريقة كمشعوذين ودجالين! بل إن بعض المعجزات تسيء إلى الأئمة

وتجعلهم موضع سخرية وتهكم كالفيل الطائر! والظبية الباكية! والذئب الذي تعثرت ولادة زوجته وغيرها من الخزعبلات التي لا يقبلها عقل راشد!

كما أنه لا يعرف ما الفائدة من المعجزات المنسوبة للأئمة سوى الدعاية، وإلا فما الذي يعنيه الباقر للمسلم عندما يصنع فيل ويبعث فيه الحياة ويطير به كالقبطان فوق مكة؟ وما الجدوى من قيام الحسن بتغير جنس الزوج والزوجة حالة غضب، ثم يعيدهما إلى حالتهما الطبيعية؟... الخ، فمثل هذه المعجزات بماذا خدمت الدين؟ أم أنها جعلته مصدرا للتهكم والسخرية من قبل الشعوب على مر العصور!

الثاني: يلاحظ أن المعجزات المنسوبة للأئمة لها عدة أساليب وضروب منها: ما يتعلق بعلم الغيب –الذي اشترك فيه جميع الأئمة كما ورد في النصوص(١٢١)–، والحديث مع الحيوانات وإحياء الموتى وغيرها، وهي محاولة لتأكيد الصفات التي يضيفها الإمامية لأئمتهم –والتي لم تكن يوما للأنبياء والرسل–، ومن ثم أصبحت بعد ذلك من مرتكزات المذهب الإمامي، إذ لو كان النبي ﷺ يعلم الغيب فعلام قاد غزوة أحد وهو يعلم ما سيلقى جيش المسلمين حينها؟! ولماذا خرج النبيﷺ من مكة إلى الطائف مع علمه أن أهل الطائف سيرفضونه ويغرون به سفهاءهم وعبيدهم فيتبعوه يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة!؟

أليس من حكمة الله تبارك وتعالى أن يعلم عباده بأن علم الغيب المطلق لا يملكه غيره تبارك وتعالى، وقد يكرم رسله وأنبيائه بشيء من علم الغيب في حالات محدودة وضيقه دون غيرهم من البشر!

الثالث: كثير من المعجزات رويت بصيغة التمريض، أو مفتقدة السند، كما أن الرواة توسعوا فيها من غير ضابط بسبب إثارة عواطف أتباعهم وجمع الاتباع لا أكثر!

وكلُّها من أوهام الغلاة وافتراءاتهم؛ فكثير من رواتها من المجاهيل مسمى مثل «عمارة بن زيد»(١٢٢)، أو شخص سيء الصيت مثل «علي بن أبي حمزة البطائني»(١٢٣) أو شخص كذاب من الغلاة مثل «محمد بن سنان»(١٢٤)، و«البلخي»(١٢٥)، أو كذاب مثل «يونس

بن ظبيان»[١٢٦]، ونحوهم! فالروايات التي رووها هي من جنس الموضوعات والأوهام والخرافات، التي لا يمكن لأي عاقل أن يستدل بها على تصرف الأئمة في تدبير أمور الكائنات، بل تلك المعجزات المخترعة لا تفيد إلا قصاصين مثل رواتها وسامعين مثل جدّاتهم العجائز!! وفضلاً عن أنها ليست بحجة أصلاً فإنها فضيحة لقائلها وسامعها!

الرابع: العلة في المعجزة -كما قال بذلك الإمامية- إنما تكون لأجل إتمام الحجة على منكري رسالات الرسل ولا تقع إلا في حالة وجود تحدِّي للمنكرين ومطالبتهم بالمعجزة، وفي حال رأى الله ﷻ المصلحة في إظهارها لأجل إثبات نبوّة نبيٍّ من أنبيائه، وهي تتمّ أمام ملأ عام وفي حضور آلاف المعارضين والموالين، مثل معجزة النبي صالح أو معجزات النبي موسى أو عيسى -عليهم السلام- وغيرهم من الأنبياء مما بيَّنه القرآن لنا.

كما يلاحظ أنَّ بعض المعجزات لم تتم بناء على طلب من الناس بل إن الأئمة هم من جادوا بها عليهم دون سبب مقنع، مما يثير الشكوك حولها؛ لانتفاء الحاجة إليها.

الخامس: إن كان الإمامية يريدون إثبات هذه الخوارق للأئمة وأنهم ليسوا ببشر، فلسنا بحاجة إلى الإيمان بأربابهم الجدد، ونجعلهم قدوة لنا مستوحين منهم أصول الدين![١٢٧]

السادس: ثم إنْدعوى أن الأئمة كانت من معجزاتهم علم الغيب وما في ضمائر الناس، وأن أعمال البشر المستقبلية غير محجوبة عنهم! فإنَّ الأئمة الاثني عشرية بهذه الدعوى قد أقدموا على الانتحار، فسيدنا علي رضي الله عنه عندما خرج ليوقظ الناس لصلاة الفجر ضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه! فإن كانت أعمال البشر غير محجوبة عنه فلماذا لم يتوق هذه الضربة، ويأمر بحبس عبد الرحمن بن ملجم؛ لعلمه رضي الله عنه أنّ ابن ملجم يترصد لقتله؟! أو حتى لماذا لم يدافع عن نفسه، ويتوخى الحذر بصورة أكبر، وحرص أشد يومها؟!

وبسبب ما تقدم نقول بأنَّ الحسن رضي الله عنه مات منتحراً؛ لأنَّ -على حسب زعم الإمامية- زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس قد دست له السمَّ في طعامه، وقد أقدم على أكله، وهو على علمٍ بما فيه![١٢٨]

وكذلك بسبب هذا القول نقول: إن الحسين ﷺ مات منتحراً؛ لأنَّه قدم إلى الكوفة، وهو على علم بما في نيتهم، وما سيقومون به من أعمال، ولم يكتف بإقدامه، بل شارك في معركة سينهزم فيها هو ومن معه، وسيفضي ذلك بالقتل والسبي والتشريد لمن معه –كما يدعي الاثنا عشرية–.

ففي الحقيقة أنَّ ما ادعاه الاثنا عشرية هو في حد ذاته ذم وطعن مبطن لأئمتهم، لا مدح وتزكية لهم.

خاصة أنَّ الله –تبارك وتعالى– قد أخبرنا في كتابه بأنَّ الطبيعة البشرية تسعى للحصول على الخيرات، وتنفر من المكاره، وهذه قاعدة فطرية لا يخالفها عاقل، فالإنسان لا يقبل على مكروه مع علمه به، كما يبعد يده عن النار خوفا من إصابته بالأذى.

السابع: إن الرسول ﷺ لم يكن يدعي المعجزات كما يدعيها أتباع الإمامية لأئمتهم، ولم يكن يمارسها بمثل ما كان يفعله النواب، ويشيعون عن أنفسهم معرفته. وقد اعتمد الرسول ﷺ على مخاطبة العقول بالمنقول، وأجاب ببيان بشريته للمشركين الذين طالبوه بإتيان المعاجز والآيات الخارقة كتفجير الينابيع من الأرض، وإسقاط السماء كسفاً والرقي في السماء، وإنزال الكتب منها، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُه قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً ﴿٩٤﴾ قُل لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً﴾، (الإسراء/٩٠–٩٦).

فإذا لم يكن الرسول ﷺيستخدم المعاجز لإثبات رسالته، فكيف استطاع النواب الأربعة استخدامها لإثبات نيابتهم؟ ومن الذي يؤكد حصول ذلك؟ علماً بأن الطوسي

الذي يذكر معظم تلك (المعاجز) الوهمية قد جاء بعد عصر النواب بمائة عام أو اكثر! وقد اعتمد على تلك الروايات وهي أخبار آحاد متهافتة جدا صادرة عن الغلاة والمشبوهين وذوي المصالح المادية في وضعها، ولا توجد رواية واحدة منها يمكن الاعتماد عليها بعد تنقيح السند، وهي تشتمل على عدة نقاط غامضة، فتروى عن المجاهيل أو عن أشخاص بدون أسماء وتعتمد على الادعاء الفارغ بلا دليل(١٢٩).

ثالثا: نقد دليل المعجزة من كتب الإمامية الاثني عشرية:

ما يدعيه الإمامية لأئمتهم من معجزات -خاصة دعوى أن أئمتهم يرفعون ما في ضمائر الناس وأنهم يعلمون الغيب- يبطله الروايات في كتبهم عن سيدنا علي بن أبي طالب ﵁ أنه كان يقول عن أسرار الخليقة وسرّ الموت والحياة في آخر لحظات عمره: (أَيُّهَا اَلنَّاسُ كُلُّ اِمْرِئٍ لاَقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ واَلْأَجَلُ مَسَاقُ اَلنَّفْسِ وَاَلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ، كَمْ أَطْرَدْتُ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ. هَيْهَاتَ! عِلْمٌ مَخْزُون، أَمَّا وَصِيَّتِي فَاللَّهَ لاَ تُشْرِكُوا بِه شَيْئاً وَمُحَمَّداً -صلى الله عليه وآله- فَلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ أَقِيمُوا هَذَيْنِ اَلْعَمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ اَلْمِصْبَاحَيْنِ)(١٣٠).

وكان سيدنا علي ﵁ يُظْهر عدم معرفته بشيء يجهله الآخرون ويقول للخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان ﵁: (ووالله ما أدري ما أقول لك؟ ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغك هو قد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب أولى بعمل الحق منك، وأنت أقرب إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله- وشيجة(١٣١) رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا)(١٣٢).

وقد قال الإمام الصادق: (يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب!.. والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي؟)(١٣٣).

وجاء أبو بصير ذات مرة إلى الإمام الصادق وقال له: (إنهم يقولون... انك تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب، فقال: سبحان الله!.. سبحان الله! لا والله ما يعلم هذا إلا الله)(١٣٤).

و عن عنبسة بن مصعب أنَّه قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: (أي شيء سمعت من أبي الخطاب؟) قال: سمعته يقول: إنك وضعت يدك على صدره وقلت له: عه(١٣٥) ولا تنس، وأنَّك تعلم الغيب، وأنَّك قلت له: عيبة علمنا، وموضع سرنا أمين على أحيائنا، وأمواتنا. قال: (لا والله ما مسّ شيء من جسدي جسده إلا يده، وأما قوله: إني قلت: أعلم الغيب فو الله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، فلا آجرني الله في أمواتي، ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له.... ثم قال: ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطاً بيني وبينه فأصابه السهل والشرب، وأصابني الجبل، فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل...)(١٣٦).

وفي خبر الربيع أنَّ الخليفة المنصور قال لأبي عبد الله: أنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أنَّك تعلم الغيب، قال: (ومن أخبرك بهذا؟) قال: هذا الشيخ، قال: (أفحَلّفه يا أمير المؤمنين؟) قال: نعم.

فلما بدأ الشيخ باليمين قال أبو عبد الله للشيخ: قل أبرأ إلى الله من حوله وقوته، وألجأ إلى حولي وقوتي إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول)، فتلكأ الشيخ، فرفع المنصور عموداً كان في يده فقال: والله لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود، فحلف الشيخ، فما أتم اليمين حتى دلع لسانه، كما يدلع الكلب ومات لوقته)(١٣٧).

وسأل يحيى بن عبدالله الإمام موسى الكاظم فقال: (جعلت فداك إنهم يزعمون انك تعلم الغيب؟ فقال: سبحان الله! ضع يدك على رأسي، فوالله ما بقيت شعرة فيه وفي جسدي إلا قامت. لا والله ما هي إلا وراثة من رسول الله)(١٣٨).

وفي رواية أخرى ينقلها الحر العاملي، يقول فيها الإمام: (قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه... إني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول أنا نعلم الغيب)(١٣٩).

يقول أحمد الكاتب في دليل المعجزات الذي يدعيه الإمامية لنواب الإمام الثاني عشر: (إن من السهل جدا وصف تلك المعاجز المدعاة، بـ «الكذب والاختلاق أو السحر والشعوذة والمخاريق»، وهو ما يسقطها عن الحجية، وعن أن تكون معاجز خارقة للعادة وحاسمة للجدال.

وكان شيخهم الصدوق قد برر عدم لجوء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الى سلاح المعاجز لإثبات حقه بالخلافة؛ بسبب احتمال تفسير الآخرين لها بالسحر والشعوذة والمخاريق[١٤٠].

كما رفض والده علي بن بابويه الصدوق ادعاء الحلاج بالنيابة عن الإمام المهدي ومعرفته للغيب، وأمر بإخراجه من دكانه ركلاً بالأرجل[١٤١]!

إن «المعاجز الغيبية» متعارضة مع القرآن الكريم الذي ينفي علم الغيب عن أي بشر ويقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾، (الجن/٢٦-٢٧) ويقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، (النمل/٦٥)، ويقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، (لقمان/٣٤)، ومن هنا فلم يشر الشهيد السيد محمد باقر الصدر -رحمه الله- في (بحث حول المهدي) الى مسألة معاجز النواب الأربعة كدليل على صحة نيابتهم وادعائهم في وجود (الإمام محمد بن الحسن العسكري)[١٤٢].

وقد كان مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ القُمِّيّ (٣٤٣هـ) أستاذَ الصدوق (٣٨١هـ) شيخ محدثي الشيعة، وكان من أكبر علماء الشيعة في عصره وكان مُوَثَّقاً وَمُبَجَّلاً وموضع ثناء وتقدير عامَّة علماء الشيعة وأصحاب كتب الرجال، ومع ذلك لم يكن محمد بن الحسن يعتبر الأئمَّة عالمين بالغيب وليس هذا فحسب بل كان أيضاً يجيز في حقهم لا بل في حق النبيّ ﷺ نفسه -الذي هو أمين الوحي والمأمور بإبلاغ رسالة الله- السهو والنسيان! ويعتقد أن أول درجات الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ، كما وافقه الصدوق في هذه العقيدة في

كتابه «من لا يحضره الفقيه» فيقول: (كَانَ شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الوَلِيدِ -رَحِمَهُ اللهُ- يَقُولُ أَوَّلُ دَرَجَةٍ فِي الغُلُوِّ نَفْيُ السَّهْوِ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم-، وَلَوْ جَازَ أَنْ تُرَدَّ الأَخْبَارُ الوَارِدَةُ فِي هَذَا المَعْنَى لَجَازَ أَنْ تُرَدَّ جَمِيعُ الأَخْبَارِ وَفِي رَدِّهَا إِبْطَالُ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ، وَأَنَا أَحْتَسِبُ الأَجْرَ فِي تَصْنِيفِ كِتَابٍ مُنْفَرِدٍ فِي إِثْبَاتِ سَهْوِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم- وَالرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِيهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)(١٤٣).

وقد روى الصدوق في «عيون أخبار الرضا» عَنِ الهَرَوِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا (ع): يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ! إِنَّ فِي الكُوفَةِ قَوْماً يَزْعُمُونَ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وآله وسلم- لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ السَّهْوُ فِي صَلَاتِهِ فَقَالَ: كَذَبُوا لَعَنَهُمُ اللهُ، إِنَّ الَّذِي لَا يَسْهُو هُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ(١٤٤).

لذا نفى الصدوق إثبات علم الغيب للائمة فيقول: (الإمام لا يعلم الغيب، وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسنة، ومن ينحل للأئمة علم الغيب فهذا كفر بالله وخروج عن الإسلام عندنا، وأن الغيب لا يعلمه إلا الله وما ادعاه لبشر إلا مشرك كافر)(١٤٥).

وعلى الرغم من مخالفة المفيد للقمي وللصدوق في مسألة سهو النبي إلا أنه ينفي معرفة الأئمة لعلم الغيب في كثير من أقواله منها: (فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّنُ الفساد؛ لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه لا بعلم مستفاد، وهذا لا يكون إلا لِلَّهِ ﷻ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذَّ عنهم من المفوِّضَة ومن انتمى إليهم من الغلاة)(١٤٦).

ويقول: (إنني لا أقول لك إن الإمام عليه السلام يعلم السرائر وَإنه مما لا يخفى عليه الضمائر...)(١٤٧).

فبعض رواة الشيعة يرفضون مثل هذه الشعوذات المنسوبة للأئمة، فقد استشهد علامتهم الميقاني بقول شيخهم وحيد بهبهاني: (لقد أجاد المولى الوحيد البهبهاني حيث قال: اعلم أن كثيرا من القدماء سيما القميين منهم وابن الغضائري كانوا يعتقدون للأئمة -عليهم السلام- منزلة خاصة من الرفعة والجلالة، ومرتبة معينة من العصمة والكمال، بحسب اجتهادهم ورأيهم وما كانوا يجوزن التعدي عنها، وكانوا يعدون التعدي ارتفاعا

وغلوا حسب معتقدهم، حتى أنهم جعلوا مثل نفي السهو عنهم غلوا، بل ربما جعلوا مطلق التفويض إليهم أو التفويض الذي اختلف فيه... أو المبالغة في معجزاتهم، ونقل العجائب من خوارق العادات عنهم، أو الإغراق في شأنهم وإجلالهم وتنزيههم عن كثير من النقائص، وإظهار كثرة القدرة لهم، وذكر علمهم بمكنونات السماء والأرض ارتفاعا أو مورثا للتهمة به سيما بجهة أن الغلاة كانوا مختفين في الشيعة مخلوطين بهم مدلسين)[١٤٨].

ثم إن دعوى معرفة الأئمة لعلم الغيب وأنها من معجزاتهم! فهي كما أنها مردودة عقلا، ومن كتب الإمامية -كما سبق بيان ذلك- فهي مردودة نقلا من القرآن والسنة، إذ يقرر الله ﷻ في كتابه الكريم أنّ الغيب من خصائصه ﷻ، لا يشاركه فيه غيره حتى الأنبياء -عليهم السلام-، ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، كما أمر الباري -تبارك وتعالى- نبيه ﷺ أن يعلن لجميع الخلق أنَّه لا يَعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله فقال -تبارك وتعالى-: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ استثناء منقطع أي لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ المنفرد بذلك وحده لا شريك له[١٤٩].

كما أمر تبارك وتعالى نبيه ﷺ أنْ يتبرأ من دعوى علم الغيب، فيقول: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، (الأعراف/١٨٨). هل يعقل أنَّ الرسول الذي يوحى إليه لا يعلم الغيب ولا يدري ما في ضمائر النفوس، في حين أنَّ الإمام الذي لا يوحى إليه يعلم ذلك؟؟

وعندما أراد الباري ﷻ أنَّ يُطلع بعض أنبيائه طرفاً من الغيب لحكمة يراها ﷻ، فيقول: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾، (الجن/٢٦- ٢٧) لم ينص على أن هذا العلم كذلك للإمام، فلو كان للإمام علماً مثل علم الرسول لنصَّ الباري -تبارك وتعالى- على هذا، ولقال: إلا من ارتضى من رسول أو إمام! لذا فمقارنة علم الإمام بعلم الرسول فاسد، لا نص عليه البتة.

كما ثبت عن النبي ﷺ أنَّه لا يملك مفاتيح الغيب إلا الله -تبارك وتعالى-، ولو كان أحد من الأئمة، أو حتى هو يعلمها لما قال بهذا، فقد روى البخاري عن عبد اللَّهِ بن دِينَار، عن ابن عُمَرقال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: (مفاتيح الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إلا الله: لَا يَعْلَمُما في غَدٍ إلا الله، ولا يَعْلَمُ ما تَغِيضُ الْأَرْحَامُ إلا الله، ولا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌإلا الله، ولا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، ولا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا الله)[١٥٠].

ليس لأحد من البشر أنَّ كانت منزلته أن يعلم الغيب، فقد روى الإمام مسلم عن مسروق[١٥١] أنه قال: كنت متكئاً عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ وذكرت منهن: (ومن زعم أنَّ رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية. والله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، (المائدة/٦٧)، قالت: ومن زعم أنَّه يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله -تعالى- يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾...)[١٥٢].

كما أنّ الإمامية قد وقعت في الخلط بين المعجزة والكرامة، مع أنّ الفرق بينهما جليّ وبين من عدة وجوه أهمها:

١- إن المعجزة يظهرها الله ﷻ على يد النبي تأييداً له، وأما الكرامة فهي يجريها الله على يد وليه إكراماً له.

والوليّ هو: المؤمن التقيّ الصالح الذي يطيع الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو الملتزم بالكتاب والسنة؛ فمن كانت هذه صفته وظهر على يديه أمر خارق للعادة، علمنا أنه من أولياء الله، وأن الله أجرى هذه الكرامة على يديه تأييداً له، أو إكراما له، أو استجابةً لدعائه، أو تنبيها على فضله، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾، (يونس/٦٢-٦٣).

وقال رسوله ﷺ: (إن الله قال: من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وان سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه...)[١٥٣] فالولّي كما تولى الله بالطاعة والتقوى، تولاه الله بالحفظ والنصرة.

٢- المعجزة خاصة بالأنبياء ولا يكونون إلا من ذكور البشر، وأما الكرامة فهي عامة للأولياء ذكوراً أو إناثاً إنساً أو جناً، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾، (يوسف/١٠٩).

٣- صاحب المعجزة وهو النبي معصوم من الكفر والمعاصي ومأمون من التبديل، وأما صاحب الكرامة وهو الوليّ فليس كذلك، ولذلك تُظهر المعجزة وتُخفى الكرامة.

فإن ادعى بعض علماء الإمامية إطلاق لفظ الكرامة -وهم قليل- على معجزات الأئمة! إلا أن في حقيقة الأمر فالناظر في نصوص الإمامية يرى أن أغلبيتهم يطلقون عليها لفظ المعجزة، كما أن الروايات تذكر أن الأئمة كانوا يتباهون في إظهارها بين الناس تحديا بالإتيان بمثلها!

خلاصة ما سبق:

فساد استدلال الإمامية الاثني عشرية بدليل المعجزات على إمامة أئمتهم لعدم ثبوت هذا الدليل للأئمة؛ وما ذلك إلا لأن أئمة الشيعة حقيقة لا توجد لهم معجزات لاختصاصها بالأنبياء والرسل فقط، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى اضطراب الإمامية في تفسير هذا الدليل وإثباته! وبالتالي فلا يثبت إمامة أحد الأئمة لا اعتضادا -بجانب النص على الإمام-، ولا اعتمادا -في حال عدم ورود النص على الإمام-!

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا على إتمام هذا البحث، ثم الصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين قائد الغر المحجلين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد..

فمن خلال هذا البحث المصغر والذي كان بعنوان «معجزات الأئمة ودلالتها على الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية عرض ونقد» توصلت إلى نتائج عدة أهمها:

١- وافق الإمامية الاثني عشرية المعتزلة في تعريف المعجزة مخالفين بذلك ما عليه السلف الصالح -رحمهم الله-.

٢- بني دليل المعجزة على أصل مسألة التحسين والتقبيح العقلي الذي قال به الإمامية ومن وافقهم من المعتزلة.

٣- ذهب الإمامية أن المعجزات كما أنها دليل صدق الأنبياء فهي كذلك دليل صدق الأئمة، وبما أن المعجزات ظهرت على أيدي أئمتهم الاثنا عشر، إذن فهم المستحقون بالإمامة دون غيرهم.

٤- لجأ الإمامية الاثني عشرية إلى دليل المعجزات؛ لانعدام النص على إمامة بعض أئمتهم كعلي بن الحسين، أو كانت الوصية مشتركة بين عدد من الأخوة، كأبناء الإمام الكاظم، أو لمعرفة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

٥- حاول بعض علماء الإمامية الاثني عشرية إطلاق لفظ الكرامة على معجزات الأئمة! للخروج من مأزق اختصاص الأنبياء والرسل بالمعجزات دون غيرهم من البشر، ولكن لفظ المعجزات ورد كثيرا في النصوص مما يدل أن ضعف هذا الأمر.

٦- ضعف دليل المعجزات الذي استدل به الاثني عشرية على مسألة الإمامة، بمعارضته للنقل الصحيح، وللعقل الصريح.

٧- كثير من المعجزات رويت بصيغة التمريض، أو مفتقدة السند، كما أن الرواة توسعوا فيها من غير ضابط بسبب إثارة عواطف أتباعهم وجمع الأتباع لا أكثر! فكثير من رواتها مجاهيل أو سيئي الصيت، أو كذابين ونحوهم!

٨- لم تقتصر الإمامية الاثني عشرية في إثبات دليل المعجزات للأئمة، بل أثبتوها كذلك لسفراء الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري.

هذا والله تعالى أعلم وأحكم

فإن أصبت فمن الله فله الحمد والمنة وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله المستعان.

الهوامش والتعليقات:

(١) أصول الكافي، (٢/١٨)، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام. قال المجلسي: (موثق كالصحيح)، مرآة العقول، (٧/١٠١).

(٢) أصول الكافي، (٢/١٩)، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام؛ وسائل الشيعة، للحر العاملي، (٢٧/٦٦)؛ بحار الأنوار، للمجلسي، (٦٥/٣٣٣)، وقال المجلسي: (صحيح)، مرآة العقول، (٧/١٠٢).

(٣) أصول الكافي، (٢/١٨)، كتاب الإيمان والكفر، باب دعائم الإسلام. قال المجلسي: (صحيح)، مرآة العقول، (٧/١٠٢).

(٤) أصول الكافي، للكليني، (٢/١٨). قال المجلسي: (صحيح)، مرآة العقول، (٧/١٠١).

(٥) الخصال، للصدوق، (ص ٦٠١). قلت: لم تصح هذه الرواية؛ وذلك لأنَّ في سندها منيع بن الحجاج البصري، قال الإمامي الشاهرودي فيه: (لم يذكروه)، مستدركات علم رجال الحديث، (٧/٥١٦).

(٦) قرب الإسناد، للحميري، (ص ٣٠٠). قلت: خبر مجهول الإسناد.

(٧) بحار الأنوار، (٢٦/٨٢).

(٨) انظر: مقالة بعنوان «بيان للمسلمين»، نشرت في مجلة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الثالث، (ص ٢٦٩). وانظر: أصل الشّيعة وأصولها، (ص٥٨).

(٩) انظر: (ص ٤٩٥). للاستزادة انظر: الملل والنحل، لجعفر السبحاني، (١/٢٥٧)؛ عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، (ص ٦٥)؛ نفحات القرآن «الولاية والإمامة في القرآن الكريم»، لمكارم الشيرازي، (٩/٧-٩).

(١٠) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، (٢/٢٤-٢٥).

(١١) حق اليقين، (١/١٨٥). قلت: ترتب على هذا القول كما أن النبي يوحى إليه من الله -تبارك وتعالى- كذلك الإمام يوحى إليه! وهذا ما ادعته الإمامية، والقمى ممن ذهب إلى أن الوحي لم ينقطع بانتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى؛ لأن الإمام يقوم مقامه! فعند تفسيره لسورة القدر يقول: معنى ليلة القدر أن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق، وكل ما يحدث من موت أو حياة، أو خصب أو جدب، أو خير أو شر، كما قال الله فيها: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، (الدخان/٤) إلى سنة. وقوله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا...﴾، (القدر/٤)، تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان، ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور... ونسب للإمام أبي جعفر أنه سئل: تعرفون ليلة القدر؟ فقال: (وكيف لا نعرف ليلة القدر والملائكة يطوفون بنا فيها؟!)، تفسير القمي، (٢/٤٣٢). وفي هذا يقول إبراهيم الأنصاري في مقالته حقيقة مصحف فاطمة المنشورة على هذا الرابط :

http://www.al-kawthar.com
(كما أنَّ ليلة القدر ظرف زماني قد احتمل كلَّ ما أنزله الله تعالى الذي كان في الكتاب المكنون في كتابه الكريم، ففاطمة ظرف مكاني قد احتمل كلَّ ما أنزله الله تعالى، فهي سلام الله عليها محلٌ لتجلي الاسم الأعظم، ومن هنا نسبت إلى الله تعالى مباشرةً من غير واسطة، وهذا يدلُّ على خصوصيَّة في خلقها فالله الفاطرُ خلق فاطمة...) إذن فالوحي للأئمة -حسب زعمهم- ليس بمشيئة الله وحده كما هو الحال مع الرسل -عليهم السلام-، بل هو تابع لمشيئة الإمام، بل إن الأئمة تذهب إلى عرش الرحمن كل ليلة جمعة لتطوف به فتأخذ من العلم ما شاءت، فقد رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (يؤذن لأرواحالأنبياء الموتى -عليهم السلام- وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف به أسبوعاً وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياءوالأوصياء قد ملئوا سروراً ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير)، أصول الكافي، للكليني، (١/٢٥٣-٢٥٤) كتاب الحجة، باب أن الأئمة -عليهم السلام- يزدادون في ليلة الجمعة. قال المجلسي: (حديث ضعيف) مرآة العقول، (٣/١٠٤)، وهذا الخبر -وغيره الكثير-يخالف النقل والعقل؛ وذلك لأن مشيئة الله وإرادته ليستا تبعاً للإمام فيعلم الإمام متى شاء ذلك، بل ليس هذا تبعاً لمشيئة الرسل قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾، (الإنسان/٣٠) وقال أيضاً: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، (التكوير/٢٩).

(١٢) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، للخرازي، (١/٢٢٨).
(١٣) انظر: أصول الكافي، (١/١٧٥-١٧٦)، كتاب الحجة، باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة.
(١٤) تفسير العياشي، (١/٧٦، ١٩١-١٩٢).
(١٥) انظر: قرب الإسناد، للحميري، (ص١٢٣)
(١٦) انظر: البرهان في تفسير القرآن، (١/٣٢٢-٣٢٣)
(١٧) انظر: معرفة الإمام، (١/١٥٨).
(١٨) نقله عن الكلمات المكنونة، للفيض الكاشاني، (ص ١١٤).
(١٩) الحكومة الإسلامية، (ص ٥٢).
(٢٠) الإمامة وقيادة المجتمع، (ص ٢٦).
(٢١) انظر: لسان العرب، لابن منظور، (٦/٩٧-٩٨)؛ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، (٢/١٨٠-١٨١)؛ ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ص ٧٣٨-٧٣٩).
(٢٢) رسائل المرتضى، (٢/٢٨٣).

(٢٣) مجموعة الرسائل، (١٠٧/٢).
(٢٤) نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، (ص ١٢٩-١٣٠).
(٢٥) محاضرات في الإلهيات، (ص ٢٥٨-٢٥٩).
(٢٦) محاضرات في الإلهيات، (ص ٢٥٩) حاشية رقم (١).
(٢٧) النبوات، (ص ٤٥).
(٢٨) رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٤٩٨١)؛ ومسلم في صحيحه (حديث رقم ١٥٢).
(٢٩) المنهاج، (٣٦٤/٢).
(٣٠) فتح الباري، (٧/٩).
(٣١) فتح الباري، (٦/٩).
(٣٢) انظر: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٢٩/١).
(٣٣) انظر: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (١٣٢/١).
(٣٤) النبوات، (١٦٣/١-١٦٥).
(٣٥) النبوات، (١٧١/١-١٧٢).
(٣٦) انظر: النبوات، (١٧٣/١-١٧٤).
(٣٧) انظر: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٧٩٤/٢).
(٣٨) انظر: النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، (٥٠٠/١).
(٣٩) النبوات، (٧٩٤/٢-٧٩٥).
(٤٠) انظر: النبوات، لشيخ الإسلامابن تيمية، (٨٦٣/٢).
(٤١) هو محمد بن جرير بن رستم الطبري الكبير، من علماء الشيعة في القرن الرابع وصاحب المسترشد في الإمامة.
(٤٢) هو محمد بن جرير بن رستم الطبري الصغير من علماء الشيعة في القرن الخامس وصاحب كتاب دلائل الإمامة.
(٤٣) بصائر الدرجات، للصفار، (ص ٧٦).
(٤٤) بحار الأنوار، للمجلسي، (٢٧٤/٤٠-٢٧).
(٤٥) عيون المعجزات، لحسين بن عبد الوهاب، (ص ١٦-١٨).
(٤٦) مدينة المعاجز، للبحراني، (٢٦٠/٣-٢٦١).
(٤٧) نوادر المعجزات، للطبري الشيعي، (ص ١٠٧)؛ دلائل الإمامة، للطبري الشيعي، (ص ٧٤)؛ مدينة المعاجز، للبحراني، (٢٣٨/١٣).
(٤٨) مدينة المعاجز، للبحراني، (٢٥٨/٤).
(٤٩) الهمهمة: ترديد الصوت في الصدر.

(٥٠) الخشف: ولد الظبي أول ما يولد.
(٥١) الخرائج والجرائح، للراوندي، (١/٢٩٥-٢٦٠).
(٥٢) مدينة المعاجز، للبحراني، (٥/١٠).
(٥٣) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، (٣/٣١٧)؛ بحار الأنوار، للمجلسي، (٤٦/٢٦٠)؛ مدينة المعاجز، للبحراني، (٤/٢٥٨).
(٥٤) الخرائج والجرائح، للرواندي، (ص ١٩٨)؛ بحار الأنوار، للمجلسي، (٤٧/١١٠-١١١).
(٥٥) الخرائج والجرائح، للرواندي، (ص ١٩٨)؛ بحار الأنوار، للمجلسي، (٤٧/١١١).
(٥٦) الثاقب في المناقب، لابن حمزة عماد الدين الطوسي، (ص ١٦٥).
(٥٧) عيون المعجزات، لحسين عبد الوهاب. (ص ٨٥).
(٥٨) الثاقب في المناقب، لابن حمزة الطوسي، (ص ٤٧٣).
(٥٩) مدينة المعاجز، للبحراني، (٥/٢٤).
(٦٠) الخرائج والجرائح، للرواندي، (١/٣٨٧).
(٦١) الخرائج والجرائح، للرواندي، (١/٤٠٤).
(٦٢) (السراج) من ألقاب الحسن العسكري.
(٦٣) نوادر المعجزات، (٢/١٩١)؛ إثبات الهداة، (٦/٣٤٥، ١٢٥).
(٦٤) نوادر المعجزات، (٣/١٩١)؛ إثبات الهداة، (٦/٣٤٥، ١٢٧).
(٦٥) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، (ص ٤٢٨).
(٦٦) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، (ص ٤٢٨).
(٦٧) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، (ص ٤٢٩).
(٦٨) يذهب الصدوق إلى أنَّ الإمام ينشأ في الشهر كما ينشأ غيره في السنة. انظر: كمال الدين وتمام النعمة، (ص ١٣٨).
(٦٩) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، (ص ٤٢٩).
(٧٠) انظر: كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، (ص ٤٣٠).
(٧١) انظر: مدينة المعاجز، لهاشم البحراني، (٨/٢٢).
(٧٢) انظر: الهداية الكبرى، للحسين بن حمدان الخصيبي، (ص ٣٥٧). وغير هذه العجائب الشيء الكثير وحقيقة لا محل لمناقشتها؛ لرفض العقل الصريح لها، كما أن المتطلع لأصل هذه الروايات يجد أنَّ قصة ولادة الإمام الثاني عشر لم تروها إلا حكيمة بأسانيد لا تخلو من غالين مثل: الحسين بن عبيد الله، وهو السعدي، أبو عبد الله بن عبيد الله بن سهل، قال علامة الشيعة الحلي: (ممن اطعن عليه، ورمي بالغلو)، خلاصة الأقوال، (ص ٣٣٩)، وفي بعض النسخ حسين بن رزق الله، قال الإمامي الشاهرودي: (لم يذكروه)، مستدركات علم رجال الحديث، (٣/١٢٨)، وكذلك لا=

=تخلو من مهملين مجاهيل مثل: موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة، قال الإمامي الشاهرودي: (لم يذكروه)، مستدركات علم رجال الحديث، (٣٢/٨)، وكذلك مثل محمد ابن عبد الله الطهوي وفي بعض النسخ الظهري، وفي بعضها الزهري، وفي بعضها المطهري، وبعضها الطهومي! ولم أجد ترجمة لهم في كتب الرجال إلا للمطهري: وهو محمد بن عبد الله، أبو عبد الله، قال الإمامي الشاهرودي: (لم يذكروه)، مستدركات علم رجال الحديث، (١٩٠/٧). وللطهومي هو من أصحاب الرضا، وحاله مجهول، جامع الرواة، للأردبيلي، (١٤٢/٢).

(٧٣) وقد تعرضت لهذه الأدلة في رسالة الدكتوراه المعنونة بـ «الأدلة العقلية على الإمامة عند الشيعة الإثني عشرية عرض ونقد» وقد صدرت الطبعة الأولى عام ١٤٣٧هـ من مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية.

(٧٤) محاضرات في الإلهيات، (ص ٢٥٩).

(٧٥) إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، (٦١/١).

(٧٦) انظر: كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، للحلي، (ص ٥٦-٦٣)؛ رسائل المرتضى، للمرتضى، (١٧٧/٣-١٧٨)؛ عدة الأصول، للطوسي، (٥٦٤/٢-٥٦٩)؛ مشارق أنوار اليقين، لرجب البرسي، (ص ٣٣٧) قواعد المرام في علم الكلام، لابن ميثم البحراني، (ص ١٠٤-١١٢)؛ المنطق، لمحمد رضا المظفر، (ص ٣٤٣). قال الباحث رشدي محمد عرسان عليان: (قال هؤلاء (أي العدلية المعتزلة والشيعة الأصولية) بحسن الفعل وقبحه، وأنهما عائدان لأمر حقيقي إما بالذات، أو لوصف ملازم، أو لوجوده واعتبارات على اختلاف فيما بينهم، وباستقلال العقل في إدراك ذلك في أصول الدين وفروعه العملية)، دليل العقل، (ص ٧٠).

(٧٧) تطور الفكر السياسي الشيعي، (ص ٢٥).

(٧٨) تطور الفكر السياسي الشيعي، (ص ٣٦-٣٧).

(٧٩) علل الشرائع، للصدوق، (١٢٢/١).

(٨٠) لقد عرف علماء الشيعة العصمة عدة تعريفات أبرزها وأهمها تعريفان، وكلاهما يتنافى مع معتقدهم في وجوب العصمة من الولادة وهما: التعريف الأول: أنها ملَكَة نفسانية. يقول ابن ميثم البحراني: (لا بد من بيان معنى العصمة: فنقول: العصمة ملَكَة نفسانية يمتنع معها المكلف من فعل المعصية). النجاة يوم القيامة، (ص ٥٥). التعريف الثاني: أنها لطف يفعله الله بالمكلف. يقول المفيد: (العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحث يمتنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة مع قدرته عليهما). النكت الإعتقادية، (ص٣٧). والقول بهذين التعريفان على اعتبار أن المعصوم متمكن من فعل المعصية انظر: شرح التجريد، للحلي، (ص ٤٩٤-٤٩٥).

(٨١) الخصال، للصدوق، (ص ٤٢٨).

(٨٢) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، للحر العاملي، (٧٠٠/٣).

(٨٣) رواه الطبرسي بغير إسناد في الاحتجاج، (٣٧٥/١)؛ وكذلك المجلسي في بحاره، (١١٨/٩٠).
(٨٤) كتاب الغيبة، (ص ٤٠).
(٨٥) منهاج الصالحين، (٤٨٩/١).
(٨٦) النكت الاعتقادية، (ص٤٤).
(٨٧) الواقفة هم القائلون بإمامة موسى بن جعفر؛ سمو بذلكلوقوفهم على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم، ولم يأتموا بعده بإمام، ولم يتجاوزوه إلى غيره. انظر: فرق الشيعة، للنوبختي، (ص ٨١). وانظر: منهاجالسُّنة النبوية، لابن تيمية، (٤٨٣/٣).
(٨٨) الغيبة، (ص ٧١).
(٨٩) نهج الحق وكشف الصدق، (ص ١٦٨).
(٩٠) تقريب المعارف، (ص ١٧٤-١٧٥).
(٩١) قد تناولت دليل الإجماع عند الإمامية الإثني عشرية ومدى حجيته في رسالة الماجستير المعنونة بـ «مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقدية عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد»، وقد صدرت الطبعة الأولى عام ٤٢٩ هـ من دار التدمرية بالرياض.
(٩٢) الخرائج والجرائح، (١٠٣٩/٣).
(٩٣) مدينة المعاجز، (٤١/١).
(٩٤) بداية المعارف الإلهية في شرح العقائد الإمامية، (٢٤٦/١).
(٩٥) العقائد الحقة، (ص ٣٢٨).
(٩٦) نوادر المعجزات، (ص ٩-١١).
(٩٧) نوادر المعجزات، (ص ١١-١٢).
(٩٨) الحق المبين في معرفة المعصومين (ع)، (ص ٦٢).
(٩٩) شبهات حول الشيعة، (ص ١١٤).
(١٠٠) شرح أصول الكافي، (٢٢٧/٧).
(١٠١) نخبة اللآلي شرح بدأ الأمالي، (ص ٧٤). قلت: العجيب أن يصدر هذا الكلام من الإمامية! فإن نص على أن ما أتاه الأئمة هو من جنس الكرامات! واوجب على الولي كتمان الكرامة وإلا لانتقصت مرتبته، وانحطت درجته! فإذن لماذا لم يخف أئمتهم هذه الكرامات -حسب تسميته- ولماذا كانوا يخرجون في الأسواق ويظهرونها أمام الناس على غير حاجة؟!
(١٠٢) المقنع في الغيبة، (ص ٦٦).
(١٠٣) المقنع في الغيبة، (ص٨١).
(١٠٤) النكت الإعتقادية، (ص٤٥).
(١٠٥) بحار الأنوار، (٥٢/ ١٣٢).

(١٠٦) الغيبة، للطوسي، (ص ٢٨١).
(١٠٧) منهاج الصالحين، (٤٨٩/١).
(١٠٨) بحار الأنوار، (٣٦٢/٥١).
(١٠٩) شرح العقيدة الأصفهانية، (ص ٢١١-٢١٣).
(١١٠) شرح العقيدة الأصفهانية، (ص ٢١٤).
(١١١) انظر: المعرفة في الإسلام، لعبد الله القرني، (ص ٢٧٩).
(١١٢) انظر: المصدر السابق، (ص ٢٨٩).
(١١٣) مفتاح دار السعادة، (١١٧/٢).
(١١٤) مفتاح دار السعادة، (١١٧/٢).
(١١٥) انظر: الوعد الآخروي شروطه وموانعه، لعيسى بن عبد الله السعدي، (٦٩٢/٢-٦٩٣).
(١١٦) رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٣٠٢٢)، وواه مسلم في صحيحه (حديث رقم ٢٧٥١).
(١١٧) انظر: الفصل في الملل والهواء والنحل، (٢٤/١-٢٦)، (٧٤/١-٧٨).
(١١٨) أخرجه ابن ماجة في سننه (حديث رقم ٤٣)، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ والحاكم في المستدرك، (حديث رقم ٣٣١)، كتاب العلم؛ والإمام أحمد في مسنده (حديث رقم ١٧١٨٢)، حديث العرباض بن سارية، وصححه الألباني، وقال: (وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات معروفون)، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (٦١٠/٢).
(١١٩) مجموع الفتاوى، (١٥٥/١٩-١٥٦).
(١٢٠) بنيت الردود العقلية بناء على مفهوم المعجزة عند الإمامية الاثني عشرية وما ذكروه في كتبهم.
(١٢١) ففي الدعاء المنسوب إلى الإمام زين العابدين أنه قال: (اللهم يا من خص محمداً وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وخصصهم بالوسيلة، وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة، وعلمهم علم ما كان وعلم ما بقي، وجعل أفئدة الناس تهوي إليهم...)، الصحيفة السجادية، (ص ٢٦٣). ونسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال: (الإمام إنْ شاء أنْ يعلم علم) أصول الكافي، للكليني، (٢٥٩/١)، كتاب الحجة، باب أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا. قال المجلسي: (ضعيف)، مرآة العقول، (١١٨/٣). وفي تقرير هذه العقيدة انظر: أصول الكافي، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الغيب، (٢٥٦/١)، وباب أنَّ الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، (٢٥٨/١)، وباب أنَّ الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، (٢٥٨/١)، وباب أنَّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء -صلوات الله عليهم-، (٢٦٠/١)؛ وبحار الأنوار، باب أنهم -عليهم السلام- لا يُحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار، وأنه عرض عليهم ملكوت السماوات والأرض، ويعلمون علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، (١٠٩/٢٦)، وباب أنهم لا يحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم، وما تحتاج إليه الأمة من جميع العلوم، وأنهم يعلمون ما يصيبهم من=

=البلايا ويصبرون عليها، ولو دعوا الله في دفعها لأجيبوا، وأنهم يعلمون ما في الضمائر، وعلم المنايا والبلايا، وفصل الخطاب، والمواليد، (١٣٧/٢٦)؛ وانظر: الهداية الكبرى، لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، (ص ٣٣٤).

(١٢٢) عمارة بن زيد كما قال عنه الإمامية اسمٌ ليس تحته أحدٌ، وكلُّ مايرويه كذبٌ والكذبُ بيِّنٌ في وَجْهِ حَدِيثِهِ. انظر: منتهى المقال في أحوال الرجال، للمازندراني، (ص ٤٠٢).

(١٢٣) قال الطوسي: (روى الثقات أنَّ أول من أظهر هذا الاعتقاد (قصد الوقف) علي بن أبي حمزة البطائني، وزياد بن مروان القندي، وعثمان بن عيسى الرواسي طمعوا في الدنيا، ومالوا إلى حطامها، واستمالوا قوماً فبذلوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال نحو حمزة بن بزيع، وابن المكاري...)، الغيبة، (ص ٦٣-٦٤).

(١٢٤) قال الطوسي فيه: (محمد سنان مطعون عليه ضعيف جداً، وما يختص بروايته، ولا يشاركه فيه غيره لا يعمل عليه...)، الاستبصار، (٢٢٤/٣).

(١٢٥) هو نصر بن الصباح، أبو القاسم البلخي، قال عنه الإمامي التفرشي: (غال في المذهب، روى عنه العياشي، له كتب، وروى عنه: محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي)، نقد الرجال، (٩/٥).

(١٢٦) قال الخوئي: (ما ذكره ابن الغضائري من أن يونس بن ظبيان: كوفي، غال، وضاع للحديث، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، لا يلتفت إلى حديثه، وما عن النجاشي من قوله: يونس بن ظبيان مولى، ضعيف جدا، لا يلتفت إلى ما رواه، كل كتبه تخليط)، معجم رجال الحديث، (٢٠٧/٢١).

(١٢٧) انظر: اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعوبي، لعلي الكاش، (ص ٣٤٤-٣٤٥).

(١٢٨) إنَّ الذي يرجع إلى كتب الاثني عشرية يجد من التناقضات الشيء الكثير جداً، فهم يدعون أن أعمال البشر غير محجوبة عن الأئمة! وفي الوقت ذاته يوردون بعض النصوص على لسان أئمتهم يكذب هذا القول! فمثلا في قصة دس السم في طعام الحسن رضي الله عنه ذكروا أنه قال لأخيه الحسين رضي الله عنه: «لقد سقيت السم مرارا ما سقيته مثل هذه المرة، ولقد لفظت قطعة من كبدي في الطست، فجعلت أقلبها بعود كان معي» فقال الحسين: «ومن سقاك؟» فقال: «وما تريد منه؟» قال: «أقتله». قال: «إن يكن هو الذي أظن فالله حسبه، وإن يكن غيره فما أحب أن يؤخذ بريء!» انظر: عمدة الطالب. لابن عنبة، (ص ٦٧). وبهذه الرواية فالحسن رضي الله عنه لم يعرف من الذي سمه، وكذلك لم يعرف الحسين، وإلا لطالب الحسين بإقامة الحد على من قتل أخاه، بل إن أصابع الاتهام لم تشر من قريب أو بعيد لمعين أنه سمّه، فمن أين ادعى الاثني عشرية هذا؟ ثم كيف يدعون أن الأئمة على علم بأعمال البشر، وأن أعمالهم غير محجوبة عنهم؟!

(١٢٩) انظر: تطور الفكر السياسي الشيعي، لأحمد الكاتب، (ص ١٥٠-١٥١).

(١٣٠) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، للتستري، (٢٤/١١).

(١٣١) الوشيجة: اشتباك القرابة، وإنما كان عثمان أقرب وشيجه لرسول الله ﷺ؛ لأنه من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي ﷺ، أما أبو بكر رضي الله عنه فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي، وعمر رضي الله عنه من بني عدي بن كعب ثامن أجداده ﷺ. وأما أفضليته عليهما في الصهر؛ فلأنه تزوج ببنتي رسول الله رقية وأم كلثوم -رضي الله عنهما-، توفيت الأولى فزوجه النبي ﷺ بالثانية؛ ولذا سمي ذا النورين. وغاية ما نال الخليفتان -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ تزوج من بناتهما.

(١٣٢) نهج البلاغة، (٦٨/٢).

(١٣٣) إثبات الهداة، للعاملي، (٧٤٨/٣).

(١٣٤) إثبات الهداة، للعاملي، (٧٧٢/٣).

(١٣٥) عه: كلمة زجر للحبس قال الفيروزآبادي: (عهعه بالإبل: زجرها بعه عه لتحتبس)، وأصل العه: القليل الحياء المكابر. انظر: القاموس المحيط، (٢٨٩/٤).

(١٣٦) انظر: اختيار معرفة الرجال، للطوسي، (٥٨٠/٢)؛ بحار الأنوار، للمجلسي، (٣٢١/٢٥-٣٢٢)؛ معجم رجال الحديث، للخوئي، (٢٥٧/١٥).

(١٣٧) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، (٣٦٧/٣) بحار الأنوار، للمجلسي، (١٦٤/٤٧).

(١٣٨) إثبات الهداة، للعاملي، (٧٦٧/٣)؛ الآمال، للمفيد، (ص ٢٣).

(١٣٩) نهج إثبات الهداة، للعاملي، (٧٦٤/٣).

(١٤٠) إكمال الدين، (ص ١٠٩).

(١٤١) إكمال الدين، (ص ١٠٩).

(١٤٢) تطور الفكر السياسي الشيعي، (ص ١٥١).

(١٤٣) من لا يحضره الفقيه، للصدوق، (٣٦٠/١).

(١٤٤) بحار الأنوار، للمجلسي، (١٠٥/١٧).

(١٤٥) إكمال الدين، (ص ١٠٦، ١٠٩، ١١٦).

(١٤٦) أوائل المقالات، (ص ٣٨).

(١٤٧) الفصول المختارة من العيون والمحاسن، (ص ١١٣).

(١٤٨) تلخيص مقباس الهداية، للمامقاني، (ص ١٥٢).

(١٤٩) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣٧٣/٣).

(١٥٠) رواه البخاري في صحيحه (حديث رقم ٤٤٢٠).

(١٥١) مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة: تابعي، ثقة، من أهل اليمن. قدم المدينة في أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، وشهد حروب عليّ، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. قيل: إنَّ عائشة زوج النبي ﷺ قد تبنته، فسمى ابنته عائشة، انظر: تهذيب=

=الكمال، للمزي، (٤٥٦/٢٧)؛ سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٦٧/٤)،؛ السيرة النبوية، لابن كثير، (٩٣/٢)؛ الأعلام، للزركلي، (٢١٥/٧). قلت: الرواية التي تدل على أنَّ السيدة عائشة –رضي الله عنها– تبنته سندها ضعيف؛ لوجود سعيد بن عثمان التنوخي فيها، قال الإمام الذهبي فيه: (متروك)، لسان الميزان، (٣٨/٣). وأيضًا لوجود علي بن الحسن السامي، قال الإمام أبو حاتم: (لا يحل كتابة حديثه)، المجروحين، (١١٤/٢). وقال الإمام الذهبي: (قال ابن عدي: (أحاديثه بواطيل)...)، المغني في الضعفاء، (٤٤٤/٢). فمن المعلوم أنَّ الحجاب فرض في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وكان يدخل على زوجاته كل ذي رحم محرم من نسب أو رضاع، أمَّا سائر الناس فكن يحجبن عنهم، حتى إنهن ليكلمنهم **من وراء حجاب**، وقد كان السلف يسمعون من عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين –رضي الله عنهن– وهن يحدثن بحديث رسول الله ﷺ**من وراء حجاب**. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (١٧٥/٨)؛ تدريب الراوي، للسيوطي، (٢٨/٢).

(١٥٢) رواه مسلم في صحيحه (حديث رقم ١٧٧).

(١٥٣) رواه البخاري في صحيحه، (حديث رقم ٦٥٠٢).

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولا: المراجع العامة:

- الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.
- اغتيال العقل الشيعي دراسات في الفكر الشعوبي، لعلي الكاش، إصدارات إي كتب، لندن، ط ١، طبع عام ٢٠١٥م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤٠١هـ.
- تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، طبع عام ١٤٠٠هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبع عام ١٤١٥هـ.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، طبع عام ١٤١٣هـ.
- السيرة النبوية، لابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٩٦هـ.
- شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، طبع عام ١٤٢٥هـ.
- صحيح البخاري، للبخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٣، طبع عام ١٤٠٧هـ.
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط ٨، طبع عام ١٤٢٦هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، قم، ط ١، طبع عام ١٤٠٥هـ
- المجروحين، لابن حبان، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب.
- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم وابنه، الرياض، ط ١، طبع عام ١٣٨٦هـ.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، طبع عام ١٤١١هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، طبع عام ١٤٢٠هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٣٩٩هـ.
- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، لعبد الله القرني، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، طبع عام ١٤١٩هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- منهاج السُّنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مطابع جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، طبع عام ١٤٠٦هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحي الدين النووي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، ط١، طبع عام ١٤١٤هـ.
- النبوات، لابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، ط ١، طبع عام ١٤٢٠هـ.
- الوعد الآخروي شروطه وموانعه، لعيسى بن عبد الله السعدي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط ١، طبع عام ١٤٢٢هـ.

ثانيا: المراجع الشيعية:

- إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، لمحمد الحر العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، طبع عام ٢٠٠٤م.
- إحياء الشريعة في مذهب الشيعة، لمحمد مهدي الخالصي، مطبعة الأزهر، بغداد، ط ٢، طبع عام ١٩٦٥م.
- الاحتجاج، لأبي منصور أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف.
- أصل الشيعة وأصولها، لجعفر آل كاشف الغطاء، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي، قم، ط١، طبع عام ١٤١٥هـ.
- أصول الكافي، للكليني، تحقيق: علي أكبر غفاري، مطبعة حيدري، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، طبع عام ١٣٨٨هـ.
- الإمامة وقيادة المجتمع، لكاظم الحائري، مطبعة باقري، قم، ط ١، ١٤١٦هـ.
- أوائل المقالات، للمفيد، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، طبع عام ١٤١٤هـ.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، طبع عام ١٤٠٣هـ.
- بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، لمحسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم، ط٥، طبع عام ١٤١٨هـ.
- البرهان في تفسير القرآن، لهاشم البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، طبع عام ١٤١٩هـ.
- بصائر الدرجات، لمحمد بن الحسن الصَّفار، تحقيق: ميرزا محسن كوجه باغي، مطبعة الأحمدي، نشر مؤسسة الأعلمي، طهران، طبع عام ١٤٠٤هـ.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، لمحمد تقي التستري، تحقيق: مؤسسة نهج البلاغة، دار أمير كبير للنشر، طهران، ط١، طبع عام ١٤١٨هـ.
- تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، لأحمد الكاتب، الانتشار العربي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٦، طبع عام ٢٠٠٨م.
- تفسير العياشي، للعياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، طبع عام ١٤١١هـ.

- تقريب المعارف، لأبي الصلاح تقي بن نجم الحلبي، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان الحسون، طبع عام ١٤١٧هـ.
- تلخيص مقباس الهداية للممقاني، تلخيص وتحقيق: علي أكبر غفاري، جامعة الإمام الصادق، إيران، طبع عام ١٣٦٩هـ.
- الثاقب في المناقب، لابن حمزة عماد الدين الطوسي، تحقيق: نبيل رضا علوان، نشر مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، إيران، ط٣.
- جامع الرواة، لمحمد علي الاردبيلي، نشر مكتبة المحمدي، قم.
- الحق المبين في معرفة المعصومين، للكوراني، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، طبع عام ١٤٢٣هـ.
- حق اليقين في معرفة أصول الدين، لعبد الله شبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، طبع عام ١٤١٨هـ.
- الخرائج والجرائح، لقطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي، قم.
- الخصال، للصدوق، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم.
- خلاصة الأقوال، للحلي، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، طبع عام ١٣٨١هـ.
- دلائل الإمامة، لابن جرير الطبري الشيعي، مطبعة البعثة، قم، ط١، طبع عام ١٤١٣هـ.
- رسائل المرتضى، للمرتضي، تحقيق: مهدي رجائي، مطبعة سيد الشهداء، نشر دار القرآن، قم، طبع عام ١٤٠٥هـ.
- شرح أصول الكافي، لمحمد صالح المازندراني، نشر مركز المعجم الفقهي، قم.
- الصحيفة السجادية الكاملة، منسوبة لعلي زين العابدين، تحقيق حاج عبد الرحيم أفشاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، طبع عام ١٤٠٤هـ.
- عقائد الإمامية، لمحمد رضا مظفر، تحقيق وتعليق: تقديم: حامد حنفي داود، مطبعة بهمن، انتشارات أنصاريان للطباعة والنشر، قم.
- العقائد الحقة، لعلي الحسيني الصدر، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، طبع عام ١٤٢٦هـ.
- علل الشرائع، للصدوق، المطبعة الحيدرية، النجف، طبع عام ١٣٨٦هـ.

- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، لجمال الدين المعروف بابن عنبة، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، طبع عام ١٣٨٠هـ.
- عيون أخبار الرضا، للصدوق، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، طبع عام ١٤٠٤هـ.
- عيون المعجزات، لحسين بن عبد الوهاب، تحقيق: المرحوم السيد فلاح الشريفي، ط١، طبع عام ٢٠٠١م.
- الغيبة، لأبي جعفر الطوسي، تحقيق: عباد الله الطهراني وعلي احمد ناصح، مطبعة بهمن، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، طبع عام ١٤١١هـ.
- فرق الشيعة، للنوبختي، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، نشر المكتبة المرتضوية، النجف، طبع عام ١٣٥٥هـ.
- قرب الإسناد، لأبي العباس عبد الله الحميري، مطبعة مهر، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط١، طبع عام ١٤١٣هـ.
- كليات في علم الرجال، لجعفر السبحاني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط٣، طبع عام ١٤١٤هـ.
- كمال الدين وتمام النعمة، للصدوق، تحقيق: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، طبع عام ١٤٠٥هـ.
- مجموعة الرسائل، لطف الله الصافي، نشر مؤسسة الإمام المهدي، قم، طبع عام ١٤٠٤هـ.
- محاضرات في الإلهيات، لجعفر السبحاني، تلخيص: علي الرباني الكلبايكاني، مؤسسة الإمام الصادق، قم.
- مدينة المعاجز، لهاشم البحراني، تحقيق: عزة الله المولائي الهمداني، مطبعة بهمن، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ط١، طبع عام ١٤١٣هـ.
- مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، لمحمد باقر المجلسي، مقابلة وتصحيح: هاشم رسولي، دار الكتب الإسلامية، طهران، طبع عام ١٣٧٩هـ.
- مستدركات علم رجال الحديث، لعلي النمازيالشاهرودي، مطبعة شفق، إيران، ط١، طبع عام ١٤١٢هـ.
- معجم رجال الحديث، للخوئي، مركز المعجم الفقهي بالحوزة العلمية، قم، ط٥، طبع عام ١٤١٣هـ.